عمر لطفي النجار

# السحر والتصوف

بسم الله الرحمن الرحيم

**ـ مقدمة:**

من المعلوم أن العقائد والأديان التي رافقت وجود الحضارات، لن تموت بهزيمة هذه الحضارة أو تلك، وبالتداخل بين الحضارات المهزومة والمنتصرة، ستسعى المهزومة للتكيف مع البيئة الجديدة للحفاظ على استمرار بقائها، وقد تتغير بالمظهر، وقد ترتدي لبوساً آخر، ولكن لا تغير ينال الجوهر المميز لها عن بقية الأديان والعقائد، وديانة الغنوص التي لها اليد العليا في الحضارات القديمة امتدت هي الأخرى بعد أن تهدمت جدرانها لتتعايش مع كل حضارة وجدت في كنفها.

أربع مراحل مرَّ بها الغنوص في تاريخه الطويل، مع المحيط الذي وجد فيه أو مع الإعلان عن قدراته الخارقة ومنهجه المعرفي، وهي كما يلي:

١ ـ **الشامانية**: الشامان أو القديس أو الولي البدائي، هو المعروف بالطبيب الساحر، وعلى عاتقه علاج المرضى عن طريق السحر والتعامل مع الكائنات الأخرى، وهو المسؤول عن حماية القبيلة ودحر أعدائها، بما له من خوارق لا تحصى، وهو أيضاً المسؤول عن جلب المطر وإخماد الزوابع وتأمين رفاهية المجتمع. ولهذا كله كان الشامان هو الشخصية الأبرز في القبيلة كما كان لكل قبيلة شامان أو أكثر.

٢ – **الساحر والعراف والكاهن:** مع وجود الدولة التي تضم عدداً من القبائل، ومع تعدد الشامانات فيها، تم بناء المعبد الذي يضمهم جميعاً، ومن أجل خدمة الدولة ورعاياها، وجدت الاختصاصات المتعددة، فالكاهن أو الوسيط بين الآلهة والبشر، هو المسؤول عن معرفة رغبات الآلهة أو ما تأمر به وتنهى عنه، وعما يجب الاعتقاد به، عن طريق حلولها فيه أو في الأوثان والتماثيل أو بالوصول إليهم أو إلى واحد منهم، والاتحاد به. ومن أجل معرفة المستقبل لاتقاء المخاطر، ومعرفة الخبيء من أسرار أعداء الدولة، كان وجود العرَّاف والمنجم، ومن أجل الدفاع عن الدولة، وهزيمة جيوش الأعداء وتحقيق المآرب الشخصية للرعايا، كان وجود الساحر، وبالساحر والعراف والكاهن كان قيام المعبد أو كل ديانات الغنوص.

٣ – **الولي الصوفي:** مع زوال المعبد، عاد الكاهن والعراف والساحر، إلى ما كانوا عليه قبل المعبد، إلى ما كان عليه الشامان، الذي اجتمع بين جنبيه كل وجوه الاختصاص، وحيث رحل هذا الشامان إلى أرض النبوة التي تحرِّم السحر وتكذب وجود الوسيط بين الخالق والمخلوق من غير الأنبياء، احتال على الأمر حتى كان له لقباً آخر وسمى نفسه ولياً، وخشية من تعاطيه للسحر، جعل السحر من علوم الأولياء السرية التي لا تحكى أمام أتباع النبي أوالغرباء.

٤ – **الوسيط الروحي:** ومع وجود الشامان تحت كنف الدولة العلمانية، ومع وجود الحرية المطلقة، تخلى عن الدين والمقدس الديني، ومن أجل أن يكون علمانياً تخلى أيضاً عن زعمه الوساطة بين الله والبشر، ليكون وسيطاً بين الأحياء وأرواح الموتى لا غير، وأصبح معروفاً باسم الوسيط الروحي، أما أفعاله فهي نفسها أفعال الولي أو الشامان.

ومن أجل التعرُّف على طبيعة الممثلين للمراحل التاريخية الأربع من خلال القاسم المشترك الذي اجتمعوا عليه، بما فيه من رياضات وكائنات أخرى، وما له من خوارق ومنهج معرفي ومواقف من النبوة كان هذا الكتاب.

## ـ السحر والإنسان البدائي:

السحر قديم جداً، فالشامان تلك الشخصية التي رافقت الفكر البدائي كانت مسؤولة وبشكل كبير عن صياغة المبادئ التي تدفع الإنسان بعيداً عن علاقته الصحيحة بالعالم في تحصيله للمعرفة أو العلم، فالشامان "معناه الساحر الطبيب، أو الطبيب الساحر"[١] ومن المعروف أيضاً أن الشامان ذا علاقة وطيدة مع الجن أو مع الكائنات اللامدركة "فالشامان يحصل على قدراته إما من خلال خبرة مباشرة مع كائنات علوية في الأحلام أو الرؤى أو اتصالاً مباشراً بكائنات علوية، أو في حالات أقل من ذلك من شامان آخر"[٢]، عن طريق البزاق في فم المريد، أو في جرة ليشرب المريد منها أو بالمس والضرب وإلى ما هنالك، وشامان الأباكي مثلاً "يوجه صلاة إلى روحه الجني للمساعدة على شفاء المريض. وبعد ذلك يبدأ في ترديد سلسلة من الترانيم يكون قد تعلمها من روحه الجني تتخللها بعض الصلوات"[٣]، "ولكي يصير الشخص شاماناً يجب أن تزوره الأرواح بينما يكون ساكناً وحده"[٤] أو وهو في الخلوة.

وخوارق الشامانيين كثيرة وكلهم "أصحاب قدرات خارقة، مثل العرافة، وقراءة الأفكار والسير على النار. مما جعل أبناء عصرهم

---

[١] ـ ص٣٣ ــ ٣٤ الإنسان والسحر
[٢] ـ ص١١٥ السحر والتنجيم
[٣] ـ ص١١٤ نفسه
[٤] ـ ص١١١ نفسه

يعتقدون أنهم من طينة أخرى غير طينة البشر، أو أنهم هبطوا إلى الأرض من عوالم أخرى في السماء"[1]، ومن هذا الاعتقاد كان للشامان الريادة والرئاسة في المجتمع.

"والمعتقد أن الشامانيين- لهم القدرة على إثارة وإطلاق الزوابع، أو أن يأمروها بالهدوء- بيد أن أهم وظيفة يضطلعون بها هي شفاء المرضى"[2]، "والشامانيون الأباكي أيضاً قد يستخدمون قوتهم في بعض الأحيان- أو حتى باستمرار- في ممارسة الشعوذة والسحر الأسود لإيذاء أو قتل الناس"[3].

ولكن كيف لهذا الإنسان الاتصال بالأرواح أو الجن؟ أو كيف له العرافة وقراءة الأفكار والسير على النار وإلى ما هنالك؟ إنها الرياضات!

فالساحر لا بد له من الزهد حتى في نفسه ومظهره ولا بد له من رياضات الجوع والخلوات والسماع على حد تعبير المتصوفة، حتى ليبدو "كشخص مختلف عن سائر الناس في سلوكه، إنه يبدو مستهيناً لا مبالياً لا يتقيد بقواعد أو أصول التعامل المتعارف عليها بين أفراد المجتمع الذي

[1] - ص٣٤ الإنسان والسحر
[2] - ص١١٢ السحر والتنجيم
[3] - ص١١٤ نفسه

ينتمي إليه، يرتدي ما تقع عليه يداه من ثياب، ولا يهتم بمنظره أو مظهره، ولا يأبه بما يقوله الناس"[١].

وللشامان سماع على الطبل والمزمار، حيث "الاعتقاد بأن دقات الطبول المصنوعة من الجلد، تكسب البشر القوة الخارقة، نظراً لكونها وسيلة لجلب الأرواح التي يمكن للبشر تسخيرها لأغراضهم ومصالحهم"[٢]، وإذا ما أراد الشامان شفاء مرضاه فإنه يجمعهم "في حلقة ويقف في وسطها ليؤدي رقصات عنيفة على دقات الطبول الصاخبة وهو يردد تعاويذه بصوت أشبه بالصراخ **ويستمر في ذلك حتى يسقط مغشياً عليه،** وحينئذ يهبُّ المرضى ليرقصوا حوله حتى الإغماء"[٣] أو "حتى يقترب الجميع من النشوة"[٤]، "وحالما يصل الشامان إلى الفناء فإنه يرتعش ويتأوه، وقد يزبد في بعض الأحيان من فمه، أو قد يصير متخشباً ويبدو أنه لا يكون قابلاً للإحساس بالألم"[٥]. وعندها يكون قد أصبح وسيلة في قبضة الأرواح التي استحوذت أو هيمنت عليه، فالأرواح كما يقول الوسطاء أو الجن لا قدرة لهم على الهيمنة ما دام للإنسان حس منشغل في علاقته بالعالم أو الجسد، ولذلك لا بد من الرياضات التي تزيح الحواس

[١] - ص٢٣ ــ ٢٤ الإنسان والسحر
[٢] - ص٢٧ السحر بين الحقيقة والخيال
[٣] - ص٣٤ الإنسان والسحر
[٤] - ص٢٠١ نفسه
[٥] - ص١١٢ السحر والتنجيم

عن فعلها وصولاً إلى الفناء الذي لا إحساس فيه، وهو المعني في الحديث الصوفي القائل "موتوا قبل أن تموتوا"، وعندها فقط تصبح المعرفة خبر عن كشف وعيان، وتصبح قدراته هي قدرات الأرواح نفسها.

**ـ السحر والتدوين:**

أما إن انطلقنا نحو مرحلة التدوين والوثائق فأول ما نراه أن السحرة والسيميائيون يعزون مؤلفاتهم إلى بعض الآلهة أو الأبطال أو الملوك أو الفلاسفة القدماء، فكان يقال أن إيزيس أو موسى أو هارون أو هرمس أو الملك سليمان أو ديموقريطس أو غيرهم هم أصحاب تلك المؤلفات، "وأهم كتب السحر على الإطلاق هو ذلك الكتاب الأسطوري الذي كتبه "جوزيفوس" في القرن الأول الميلادي وضمَّنه الكثير من التعاويذ والترانيم والطقوس اللازمة لاستدعاء الجن وهو الكتاب المعروف باسم "أقراص الزمرد"، وبعده يأتي كتاب "مفتاح سليمان" الذي وضعه هرمز تريز بحيستاس"ـ. هذان الكتبان هما المرجعان الوحيدان لكل فنون السحر"[١].

وبابل مشهورة بأعمال السحر "وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم. ولم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل مثل "الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل"ـ.

---

[١] ـ ص٧٩ الإنسان والسحر

ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي- ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة، فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة، وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التآليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها- ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم"[١]، "وهناك كتاب للفخر بن الخطيب في ذلك سماه "السر المكتوم" وهناك كتاب عن السحر اسمه "**الأوفاق للإمام الغزالي**" طبع بالمغرب، وللسكاكي كتاب عن الطلاسم وهنالك كتب الإيضاح والبساتين لاستخدام الإنس لأرواح الجن والشياطين، وبغية الناشد، ومطلب القاصد والجمهرة"[٢]، والكتب المؤلفة في التنجيم كثيرة فمن المختصرات: "مجمل الأصول لكوشيار، **والجامع الصغير لمحيي الدين ابن عربي**. ومن المتوسطات كتاب البارع والمغني. ومن المبسوطة: مجموع ابن شرع والأدوار لأبي معشر، والإرشاد للبيروني والمواليد للخصيبي والتحاويل للسجزي والقرانات للبازيار والمسائل

---

[١] - ص٤٩٧ مقدمة ابن خلدون

[٢] - ص٢٨ السحر بين الحقيقة والخيال

للقصراني والاختيارات العلانية، ودرج الأفلاك لتنكلوشة والتفهيم للبيروني"[1].

[1] - ص٤٨ – ٤٩ نفسه

## ـ تعريف الساحر وأنواع السحر:

وإذا ما أردنا تعريف شخصيات المنهج السحري، فسوف نجد أمامنا أربعة ممثلين رئيسين هم: الساحر، الكاهن، العراف، المنجم. أما بالنسبة للساحر فقد تم تعريفه عند دارسيه بكثير من الصيغ، فمن نظر في خوارقه وغاياته، قال: إن السحر مجموعة من الفنون والطرائق التي يتسنى بواسطتها التحكم في الكون"[١]، "بوسائل وصيغ يتم أداؤها بشكل آلي"[٢]، والساحر أيضاً هو "الشخص الذي يملك قدرات متفوقة تتيح له الرؤية أعمق، والسمع أبعد، وإدراك ما يعجز أصحاب القدرات العادية عن إدراكه"[٣].

ومن نظر إلى أفعاله بموازين الأخلاق كـ"العيني صاحب عمدة القاري في شرح صحيح البخاري يقول: السحر هو أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة"[٤].

ومن نظر في الرياضات التي يقوم بها الساحر يقول: إن السحر علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب

[١] ـ ص١٦٥ السحر والتنجيم
[٢] ـ ص٩٨ نفسه
[٣] ـ ص١٣٣ الإنسان والسحر
[٤] ـ ص١٨ السحر بين الحقيقة والخيال

خفية، فهو علم خفي سببه"[1]، "إنه استخدام الإنسان لقدراته غير العادية"[2]، والسحر عندها هو تعليل الأحداث بغير أسبابها الطبيعية"[3].

ومن نظر إلى دور الشيطان أو الأرواح في المنهج السحري كعلماء الشرع مثلاً يقول: السحر هو ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين"[4]، "أو أنه الشخص الذي يملك من القدرات ما يمكنه من التعامل مع مخلوقات أخرى غير مادية مثل الجن وتسخيرها"[5] أو الخاضع خضوعاً كاملاً للكائنات الروحية التي يتقرب إليها لقضاء أموره ومساعدته"[6]، وعندها سيقول: نحن نسمي الذين يتعاملون مع الجن سحرة، ونسمي ما يقومون به سحراً"[7].

ويرى إخوان الصفا "أن السحر باللغة العربية هو البيان والكشف عن حقيقة الأشياء"[8]، ولكن قولة الرسول ﷺ: إن من البيان لسحراً. له معنى آخر عند أبو عبيد لا ينتمي للمعرفة كما يزعم إخوان الصفا، حيث يقول: "كأن المعنى والله أعلم أنه يبلغ من ثنائه أنه يمدح الإنسان فيصدق

---

[1] - ص١٨ نفسه
[2] - ص٢٠٢ الإنسان والسحر
[3] - ص٤٣٧ المعقول واللامعقول
[4] - ص٤١ السحر والتنجيم
[5] - ص١٣٤ الإنسان والسحر
[6] - ص١١٦ السحر والتنجيم
[7] - ص٦ الإنسان والسحر
[8] - ص٤٤٤ المعقول واللامعقول

فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه قد سحر السامعين بذلك"[١].

ومن نظر في طبيعة السحر وأنواعه، قال: السحر هو "الأخذة- أو هو تصوير الباطل بصورة الحق"[٢]، أو هو "استخدام الأسرار الكامنة في الحروف والكلمات والأرقام والرموز"[٣]، ويقال: إن السحر نوعان: الأول يسمى بالسحر الأبيض وهو ذلك السحر الذي يستخدم لزيادة الخير للمتمرسين به دون إيقاع الشر على الآخرين، أما النوع الثاني: فهو السحر الأسود، وهو السحر الذي يقصد من استخدامه إيقاع الأذى على الأعداء"[٤]، أما ابن خلدون فقد رأى أن "النفوس الساحرة على مراتب ثلاث- فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين- والثاني: بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات- والثالث تأثير في القوى المتخيلة بحيث يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها- ويلقي فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه

---

[١] - ص١٤ السحر بين الحقيقة والخيال
[٢] - ص٤١ السحر والتنجيم
[٣] - ص١٠ الإنسان والسحر
[٤] - ص٤١ السحر والتنجيم

المؤثرة فيه، فينظر الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك لشيء من ذلك، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة"[1].

فالساحر إذن إما يعتمد على طاقته النفسية التي يملكها بالفطرة أو التي تم إيجادها بالرياضات التي من نتائجها التأثير على القوى المتخيلة للآخرين لا أنها نوع خاص، وإما بالطلاسم التي تعني الاستعانة بأرواح الكواكب والأفلاك كما يقولون "وبأسرار الأعداد وخواص الموجودات"[2] أو أرواحها، وبذلك يكون اجتماع القوة النفسية والتعامل مع الكائنات غير الطبيعية عند الساحر، ورياضاته عندها إما لجعله مالكاً للقوى الخارقة، أو لجعله على طبيعة تتيح للأرواح القيام بأعمالها من خلاله.

أما القرآن الكريم فقد وردت فيه كلمة "سحر" على ستة أوجه:

١ – السحر بمعنى العلم تعبيراً عن لسان البيئة التي الساحر فيها بمثابة رجل العلم "وقالوا يا أيها الساحر" أي: العالِم أو أنه العالم بدروب السحر وطبيعته.

٢ – السحر هو الأخذ بالعين والتخييل، "سحروا أعين الناس واسترهبوهم".

٣ – السحر: الكذب "وجاءوا بسحر عظيم" يعني بكذب عظيم.

---

[1] - ص٤٧٩ – ٤٩٨ مقدمة ابن خلدون
[2] - ص٥٠١ نفسه

٤ – المسحور المجنون: "وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا".

٥ – السحر: الصرف عن الحق "فأنى تسحرون" أي: تصرفون عن الحق.

٦ – وقت السحر "قبل الصبح"، "إلا آل لوط نجيناهم بسَحَر".

**- بعض رموز السحر:**

ومن رموز الساحر "التعويذة" و"التحويطة" و"التميمة".

أما التعويذة فهي التركيبة التي تجمع بين الحروف والأرقام والأشكال المرسومة وتؤدي كتابتها أو تلاوتها إلى جلب خير أو شر، أو إحداث تأثير سحري معين في شيء أو شخص، والعرب يطلقون اسم "الحجاب" على التعويذة المكتوبة على رق أو جلد أو قماش ويطلقون اسم "الرقية" على التعويذة المنطوقة.

التحويطة: أما التحويطة فهي التعويذة المركبة من عبارات سحرية مكتوبة على عظام أو أنسجة حيوانية أو نباتية.

التميمة: أما التميمة فإن معناها يختلف، وهي تطلق على أي شيء يلبسه أو يعلقه أو يحتفظ به الشخص الذي يريد وقاية نفسه من أي شر أو سوء"[1] كالخرزة الزرقاء ونعل الفرس وإلى ما هنالك.

ومما تقدم نرى أن الساحر هو الذي كان بطبيعته أو فطرته على مناسبة مع الأرواح، أو الذي سعى بالرياضات ليكون على طبيعتهم، إنه صاحب العلاقات الواضحة مع الأرواح العلوية أروح الأفلاك والأرواح السفلية من جن وشياطين ومن علاقته بالأرواح كانت صياغته للعقائد الإحيائية أو العقائد التي آمنت بحيوية الكون، وهكذا كان انحراف منهج العلم، فعوضاً عن التعامل مع الظواهر الطبيعية أصبحت المعرفة تعني التعامل مع أرواحها!

٢ – الكاهن: الكهانة هي الجانب الآخر للسحر ومن السمات المعرفية للكاهن التنبؤ بالمستقبل، "فالكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان"[2]، "ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب"[3].

أما كيف يكون له معرفة المستقبل؟ "فبطريقتين، الأولى: عن الأرواح التي تستطلع الغيب من أفواه الملائكة.

---

[1] - ص١٠٠ الإنسان والسحر
[2] - ص٧١ السحر بين الحقيقة والخيال
[3] - ص١٧٦ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف

والثانية: حلول الجن في الأصنام التي تخاطب الكاهن ويخاطبها، حتى أن الصنم ينشد شعراً"[1]، وليس عبثاً أن عبد الإنسان الأصنام والقبور وظواهر الطبيعة طالما الخوارق قد رافقت هذه الظواهر.

"الخطابي" يقول: "الكهنة لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب"[2]، ويقول ابن القيم الجوزية عن أمور الكهانة: أنها "بحسب اقتران الشياطين بهم وطاعتهم لهم، وعبادتهم إياهم"[3]، ويقول "زيعور": "والنبي بالمعنى الجاهلي والسامي القديم هو كاهن من نوع ما"[4]. إلا أن النبي محمداً ﷺ قد ميز بين أخبار النبوة وأخبار الكهانة بقوله: أخبار الكهانة "ليست بشيء أي قد يصدق بعضها دون البعض الآخر والنبوة لا كذب فيها، وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهانة؟ فقال: ليس بشيء. فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثوننا بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة"، وفي حديث آخر: "فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم".

---

[1] - ص٧١ السحر بين الحقيقة والخيال
[2] - ص٧٣ نفسه
[3] - ص٤٩٣ ج٢ مدارج السالكين
[4] - ص٦٨ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف

٣ – العرَّاف: فإذا كان الكاهن يرنو إلى معرفة المستقبل فإن العراف يرنو لمعرفة الماضي، ولقد قال "الأصفهاني" في الذريعة: "الكهانة مختصة بالأمور المستقبلة، والعرافة بالأمور الماضية"[١]. فالعراف يزعم معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما"[٢]، ومن مهامه توجيه قاصديه إلى أين يذهبون لتحقيق أغراضهم كتحديد الساحر أو الجن أو الروح الذي يجب اللجوء إليه دون غيره"[٣].

٤ – المنجِّم: "النجامة: معرفة الحوادث بواسطة النجوم"[٤]، "وعُرف التنبؤ بواسطة الأجرام السماوية بعلم التنجيم أو بعلم النجامة. وقد انبنى هذا العلم على افتراض أن الأحداث التي تقع على الأرض- إنما تخضع كثيراً أو قليلاً لتأثير الأجرام السماوية- ويعتمد التنبؤ بالتنجيم على أساس الأوضاع التي تتخذها الأجرام السماوية لحظة حدوث الحمل بالشخص الذي يراد الوقوف على ما يخبئه له المستقبل"[٥]. ولكن الرسول ﷺ قال: "من آمن بالنجوم فقد كفر"[٦].

**- الحروف والسحر:**

---

[١] - ص٨٢ السحر بين الحقيقة والخيال
[٢] - ص٢١٦ السحر والتنجيم
[٣] - ص٥٣ نفسه
[٤] - ص٩٦ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[٥] - ص٢٠٠-٢٠١ السحر والتنجيم
[٦] - ص٤٨ السحر بين الحقيقة والخيال

الفيثاغوريون من أوائل الذين ربطوا بين الحروف والأرقام وأسرار الخوارق، "والمصريون القدامى. برعوا أيضاً في استخدام الكلمات ذات القدرة، بعد أن اكتشفوا أسرار الحروف والأرقام، وعرفوا أن نطق كلمة أو جملة معينة بطريقة معينة يجعل لها تأثيراً سحرياً معيناً"[1]. وكذلك كان لليهود عناية خاصة في أسرار الحروف، "ولكل حرف من حروف الأبجدية قيمته العددية. وهو قانون أساسي من قوانين الكابلاه"[2] أو الكبالاه. وحسب بعض السحرة "تكتسب الحروف في جملتها قيماً عددية، فإذا أجيد فهم تركيبها وقيمها أمكن التنبؤ بكثير من الحوادث. وهذا ما نراه في رسالة الكندي ورسالة ابن سينا.

والبعض الآخر وجد في الحروف خصائص تدل على النسب والمقادير التي عن طريقها يمكن التحكم في المادة، كما في رسائل جابر بن حيان ومن لف لفه كالمجريطي والبوني."[3]

**- الكهان في الجاهلية:**

العصر الجاهلي يعج بأخبار السحرة والكهان، وزرقاء اليمامة مشهورة، فقد كان لها إدراكاً غير مألوف "فكانت ترى أشياء تبعد عنها

[1] - ص٣٧ الإنسان والسحر
[2] - ص٣٠٢ الإنسان وقواه الخفية
[3] - ص٣٦٠ من التراث الصوفي

بمسيرة ثلاثة أيام"[1]، حتى أصبحت مضرب المثل "وصار العرب يقولون: أبصر من زرقاء اليمامة"[2]، وكاهنة اليمن ليست أقل شهرة منها، واشتهر في الجاهلية أيضاً "شق بن أنمار بن نزار، وسطيح بن صالح بن بني يفرن-. وعراف اليمامة رباح بن عجلة، وعراف نجد الأبلق الأسدي، وعرافة الحجاز قطبة أو سجاح"[3] التي تزوجها مسيلمة الكذاب، والساحر وليد بن عتبة، أما أمية بن أبي الصلت فقد "تزهد ولبس المسوح وتعبد-. وطمع في النبوة"[4]، "وكان يتفرس لغة الحيوانات فيعرف ما تريده، وكان قد تنبأ بموته"[5].

---

[1] - ص٢٠٧ الإنسان والسحر
[2] - ص٢٠٨ نفسه
[3] - ص١٨٣ السحر بين الحقيقة والخيال
[4] - ص١٧٦ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس
[5] - ص١٧٧ نفسه

## ـ خوارق السحرة:

الخوارق التي تروى عن الكهنة والسحرة كثيرة، ومنها معرفة الغيب الذي لن يناله الإدراك العادي، حتى "أن سطيحاً قال في الخبيء الذي خبئ له: حبة بر في إحليل مهر. والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه"[١]، وكثيراً ما كانت نبوءاته صادقة، حتى أن ابن هشام عندما كتب سيرة الرسول ﷺ استعان كثيراً بنبوءات الكهان!!

الكاهن الجاهلي لم يكن بما يتمتع به بعيداً عن السياسة، فقد كان يتنبأ بالأحداث السياسية قبل وقوعها من خلال الأحلام "كما وقع لشق وسطيح في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن، فقد أخبرهم بملك الحبشة بلادهم، ثم رجوعها إليهم، وكذا تأويل سطيح لرؤيا المؤبذان"[٢]، ومن أجل التنبؤات السياسية وضع الكهان ما يعرف بالملاحم التي منها على سبيل المثال "قصيدة ابن مرَّانه"[٣] الشهيرة.

وللساحر كما رأينا القدرة على التأثير في القوة المتخيلة عند الآخرين ليريهم ما لا وجود له في العالم الموضوعي.

وظهور السحرة أو الساحر بهيئة الحيوانات، ذئب أسد شيء مألوف في عالمهم "وخبراء السحر يؤكدون أن في استطاعة الساحر أن يتحول –

---

[١] ـ ص٦٨ تلبيس إبليس
[٢] ـ ص٣٣٠، ٥٣١ فـ٥٣ مقدمة ابن خلدون
[٣] ـ ص٣٣٩ نفسه

إن صح التعبير – إلى ذئب بمساعدة الجن"[1]، والساحر "بيتر ستيوب" كما يروي "كولن ويلسون" قد "اعترف بأنه ظل على علاقة جنسية بشيطانة أو جنية طوال ثمانية وعشرين عاماً، وأن الجنية قد أعطته حزاماً سحرياً، يستطيع بواسطته أن يحول نفسه إلى ذئب-. وطوال السنوات الثماني والعشرين ارتكب ستويب عدداً كبيراً من جرائم القتل"[2]، وفي "هاييتي" "قام الكاهن بتحويل نفسه إلى ذئب، وكشَّر عن أنيابه، فهرب الجميع من الغرفة"[3].

وليست أفعال الساحر وخوارقه متوقفة على التخييل فحسب، فالساحر "بارا سيلساس" يقول: "من الممكن لروحي، ومن خلال إرادة مصممة قوية فحسب، ودون سيف أو خنجر، أن تطعن الآخرين وأن تجرحهم"[4]، وابن خلدون يقول عن البعاجين الذين يقتلون بالهمة: "وشاهدنا أيضاً من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متخرق، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض، وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه ويقع ميتاً وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه، ويشير إلى الرمانة وتُفتح فلا

---

[1] - ص٨٦ – ٨٧ الإنسان وقواه الخفية
[2] - ص٣٧٧ نفسه
[3] - ص٤٧ الإنسان والسحر
[4] - ص٢٣٨ الإنسان وقواه الخفية

يوجد من حبوبها شيء، وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحابة فيمطر الأرض المخصوصة"[١].

البعاجون مغاربة، وبالمغرب – كما يقول ابن خلدون أيضاً – صنف- يعرفون بالبعاجين- ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعض الأنعام يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها- وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك"[٢].

السحرة في "هاييتي" يعمدون إلى تحويل أعدائهم إلى خنازير أو ماشية، ويأمرونهم بالانضمام إلى القطعان المتجهة إلى السلخانة"[٣] حيث يذبحون هناك مع النعاج.

والساحر حسب إخوان الصفا يحرر السجين من سجنه، وها هو أحدهم حسب روايتهم يقول: لقد "تجردت وعملت نيرنج المريخ، وقصدت بالنيرنج الأمير والمحبوس، فأطلقه، حيث- أن الأمير رأى فيما يرى النائم كأن قد دخل عليه رجل أشقر أزرق على رأسه شعر، وهو مكشوف الرأس وبيده سيف مجرد يقول: إن لم تخلِّ في هذه الساعة فلاناً ابن فلان

---

[١] - ص٤٩٩ مقدمة ابن خلدون

[٢] - ص٥٠٠ نفسه

[٣] - ص٤٨ الإنسان والسحر

المحبوس عندك، وجاءت الليلة قطعت رأسك بهذا السيف! فكان هذا سبب التخلية له"[١].

ولكن لا آلهة تسكن الكواكب، ولا لها أرواح كما يزعم السحرة والمتصوفة، ولا عقول ناطقة للأصنام والأشجار وإلى ما هنالك، وليس في القبور إلا الموتى الذين لا فعل لهم. وبناءً عليه فليس إلا الجن أو الشياطين هي التي زعمت لأوليائها هذه المزاعم وفعلت لهم تلك الأفاعيل حتى كان الله بزعمهم روحاً للعالم، وكان الإيمان بتعدد الآلهة في نهاية الأمر عقيدة الوثنيين.

أما الساحر أو الدكتور داهش اللبناني المشهور، فقد خرج من السجن هو الآخر بمساعدة الجن كما قال، ودون أن تفتح له الأبواب"[٢]، وذات يوم ذهب لاستقبال المفتي عند عودته إلى الوطن لبنان، ولما رآه قال له: "ألم تنسَ مسبحتك في حمام الفندق بالأرجنتين؟-. ومدَّ الدكتور داهش يده إلى الهواء فإذا بالمسبحة بين أصابعه، وسلمها للمفتي وسط تصفيق ودهشة المستقبلين"[٣]، وكان قادراً من رؤيته لشخص ما معرفة الكثير عن أسراره"[٤]، ويعرف ما في الجيب من خبيء"[٥]، ويحوِّل قطع

[١] - ص٤٥٢ المعقول واللامعقول
[٢] - ص٢١٧ الإنسان والسحر
[٣] - ص٢١٨ نفسه
[٤] - ص٢٢٠ نفسه
[٥] - ص٢٢٣ نفسه

الأوراق العادية إلى عملة ورقية"[١]، والصحفي الذي التقى معه يقول: "وقلت للدكتور داهش- هذا سحر! قال بتحدٍ: بل نقود حقيقة جاء بها قريني من البنك"[٢]، وعن الفاكهة قال: "إنني أقدم لضيوفي فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الشتاء في الصيف- من أغصان شجرها الآن"[٣]، وعن تحريك الأشياء عن بعد بلا وسيلة مدركة يقول الصحفي وهو في مقام الضيافة عنده: "ارتفعت صينية السجائر وحدها من فوق رخامة المنضدة- واتجهت نحوي، وكذلك ارتفعت الولاعة وحدها أيضاً وانفتحت"[٤].

فظاهرة المجلوبات ابتداء من النقود أو نقود القدرة كما يسميها المتصوفة، انتهاء بجلب الفاكهة بغير أوانها كل ذلك من فعل الجن الذين يسرقون لهم هذه الأشياء. إلا أن الشيطان أو الجان لا يمنح خدماته عبثاً لكل من تمناها، فهي بالطبع مشروطة الحدوث بإرضائه، ومن سلك عقيدته التي يرسمها لأوليائه، كان له خادماً بكل ما يستطيع عليه من الخوارق، فالخوارق لأوليائه، ولكن "مقابل كفرهم"[٥]، ومن أجل التباس

[١] - ص٢٢٤ نفسه
[٢] - ص٢٢٤ نفسه
[٣] - ص٢٢٢ نفسه
[٤] - ص٢٢٢ نفسه
[٥] - ص١٠١ التصوف بين الحق والخلق

الأمر عليهم يأتيهم بشبه المعجزات لينسب نفسه إلى الخضر تارة وإلى الملائكة تارة أخرى.

السحر والكهانة مشروط بالقرين من الجان، و"الكلبي" يقول: إن "عمرو بن لحي الذي أتى بالأصنام إلى جزيرة العرب، كان كاهناً "يكنى أبا ثمامة، له رئي من الجن"[١]، والعرب في الجاهلية كانوا "يعتقدون أن لكل كاهن صاحباً من الجن أو تابعاً من الشياطين، وأن هذا الصاحب أو التابع كان يسترق السمع ويأتي للكاهن بالأخبار دون غيره من الناس"[٢]، و"هوكنز" يرى "أن علامة الساحرة هي أن يكون لها قرين أو شيطان يتخذ شكل حيوان يصاحبها- عفاريت على شكل كلب وقطة وكلب حراسة- وقرد أسود"[٣]، فالجن يستطيع "أن يتجسد في صورة إنسان، أو حيوان أو نبات أو جماد"[٤].

---

[١] - ص٥٣ تلبيس إبليس
[٢] - ص٨٥ الجن والشياطين
[٣] - ص٣٦٣ الإنسان وقواه الخفية
[٤] - ص٢٤٨ الإنسان والسحر

**- السحر وتسخير الجن:**

فإذا قلنا أن الساحر هو الذي تخدمه الجن والشياطين، قال الصوفي: لا، فنحن نسخرهم ولسنا بسحرة، فنحن نسخرهم بتسليط الملائكة عليهم، أو أننا نسخر الملائكة فيما نرغب به من أعمال كالتي يعملها الجن لأوليائهم السحرة، "وذلك إفك كبير. ويقولون – أي المتصوفة – أنهم يحضِّرون. الأرواح العلوية ويقصدون بها سكان السموات من الملائكة الأطهار، وهم كاذبون أشرار، فالملائكة لا تنزل إلا بأمر الله"[1]، وإذا ما قال "الوسطاء" أيضاً أنهم يتعاملون مع أرواح البشر الموتى لا الجان قال الدكتور مصطفى محمود: "لا أعتقد في صحة هذا الخبر، خبر تحضير الأرواح، ولا أعتقد أن ما يحضر في الجلسات هي الأرواح، إنما الذي يحضر هو الجن أو القرين، إنه الجن الملازم للإنسان طوال حياته وبعد موته بحكم ملازمته للإنسان يستطيع أن يقلِّد صوته ويحكي أسراره"[2]، وتسخير الجن كما يقول يتم بواسطة الجني نفسه "والغالب أنها استعاذة بكبار الجن ضد صغارها. أما قول الصوفية أنها أسماء إلهية – يستخدمونها بالتسخير – فقول كاذب. وقولهم أنهم عرفوا ذلك عن بعض الأنبياء القدامى كذب، فالأولى أن الرسول ﷺ يعرفه. إن طريقة تحضير

---

[1] - ص١١١ السحر وتحضير الأرواح

[2] - ص٤٧ نفسه

الجن هي نفسها طريقة تحضير الأرواح وليست أرواح الموتى هي التي تحضر بل إنها أرواح الشياطين"[1].

فالتسخير كائن إذن للتقرب إلى الله أو لتسليط الملائكة على الجن أو بالاستعاذة بعظماء الجن على صغارهم، إلا أن فكرة تسخير الله في استخدام الجن أو الملائكة فهي مرفوضة إسلامياً، ولا مغزى لها إلا التقية التي تسعى لرفع اتهام الصوفية بالسحر، لأن الرسول ﷺ شهد بأن تسخير الجن لسليمان أو إبقاء الجني مجسداً على الأقل معجزة كانت لسليمان وحده ولم تتكرر بعده على الإطلاق، وإنها لمعجزة بالفعل أن تُسخَّر الشياطين رغماً عن طبيعتهم الشريرة لأغراض إنسانية عمرانية إيجابية، وهذا ما عجز عنه الساحر حيث لا يخدمه الشيطان إلا تبعاً لأغراضه أو طبيعته الشريرة، لا لمصلحة الإنسان أو أولاد عدوه، ولا أظن المتصوفة أقرب في وراثتهم المزعومة لسليمان عليه السلام، من الرسول ﷺ، حتى أن الساحر "كزانوفا" هو الآخر زعم أنه "قد حصل على مفتاح سليمان"[2]، حتى كان له تسخير الجان!

---

[1] - ص١٠٨ نفسه

[2] - ص٢٨١ الإنسان وقواه الخفية

**- رياضات الساحر:**

رياضات الساحر تسعى كما رسمها الشيطان لجعل الإنسان صالحاً للاتصال به أو خدمته، ولن يكون ذلك إلا بإزالة فعل الحواس وصولاً إلى الفناء أو غياب الوعي، الذي يعتبر فرصة الاتصال بينهما، إضافة إلى وجود الذل لهذا الكائن البشري من جهة، وإلى الكفر بكل عقيدة لم يكن هو مصدرها من جهة أخرى، و"الرازي" في كتابه "السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم" ذكر "أنه يتقرب إلى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء- والحقيقة أنه يتقرب إلى الشياطين الذين يقولون لأوليائهم أن الكواكب نفسها تحب ذلك"[1]، ورياضة السحر كلها إنما تكون للتوجه إلى الأفلاك والكوكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل"[2]، ولكي تنقل الجنية مثلاً الرجل إلى عالمها السفلي "طلبت منه أن يمتنع عن الطعام فترة قدرها أربع وعشرون ساعة"[3]، فالساحر إذن من "استطاع بإرادته أن يتحلل من أغلال جسده المادي المحدود"[4]، ولا يغرب عن بالنا أيضاً ما يجب أن يتمرس به الساحر وما يعد نفسه له، وحتى تكون للطلاسم اللفظية أو العملية والطقوس فاعلية، يجب عليه أن ينقطع عن تناول بعض الأطعمة، وأن يبتعد عن أي نشاط

---

[1] - ص١٤١ ج١ رسالة الفرقان

[2] - ص١٦٤ السحر بين الحقيقة والخيال

[3] - ص٣٧ المسكونون بالشياطين

[4] - ص١٣٤ الإنسان والسحر

جنسي لمدة معينة قبل الإقدام على السحر"[1]، فعليه "بجمع الفكر وكثرة الجوع"[2]، فالسحرة في رياضاتهم "يمنعون أجسامهم الماء والطعام والنوم. ويلتزمون الصمت"[3]، ويرددون تعاويذهم ويؤدون طقوسهم على أنغام المزمار"[4]، ويقومون بالصوم لفترات طويلة عن الطعام، والاكتفاء بالقليل جداً منه عند إفطارهم، كذلك الانقطاع عن الناس، والامتناع عن الكلام، والاعتزال بالخلاء أو بين القبور، وارتداء الملابس الخشنة وممارسة القسوة على النفس بحرمانها من الملذات وسائر متع الحياة"[5]، وعليهم "**اجتناب أكل لحم الحيوان وما خرج منه**. وتلاوة الأسماء المخصوصة للاستخدام كالجلجلوتية وغيرها مع ما يصاحبها من الأبخرة في أوقات مخصوصة، حتى تنتهي مدة الاستخدام بإجابة الروح الجن بعلامات مخصوصة أو بالحضور إليهم في هذه الجلسات"[6].

"ويمارسون في رياضاتهم طقوساً غريبة، ويأوون في بيوتهم حيوانات مكروهة أو مرعبة. ويقترفون الكثير من المحرمات ويدوسون بأقدامهم أغلب المقدسات، ويحفظون من الطلاسم والتعاويذ ما يمكنهم من

[1] - ص٩٦ ــ ٩٧ السحر والتنجيم
[2] - ص٩٨ السحر بين الحقيقة والخيال
[3] - ص٧٦ الصوفية في نظر الإسلام
[4] - ص٤١ الإنسان والسحر
[5] - ص٢٢ الإنسان والسحر
[6] - ص١١٠ السحر وتحضير الأرواح

الاتصال بالجن، والتعامل معه والاستعانة به"[1]، وعن البعاجين يقول ابن خلدون: "أخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك الروحانيات الجن والكواكب، سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وأنهم بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم"[2]، والسحرة لا يسمحون لأحد بدخول بيوتهم التي يعيشون فيها بمفردهم، ويمارسون بين جدرانها طقوساً غريبة، مثل الاغتسال باللبن بعد قضاء حاجاتهم والنوم على الأرض عرايا تماماً، وتلاوة بعض النصوص المكتوبة أو المحفوظة، والقيام بأشياء أخرى أقل ما يمكن أن توصف به أنها كفر!- وتستطيع أن ترى بسهولة في عين أي واحد منهم، الزهد وعدم الاكتراث واللامبالاة"[3]، وعلى الساحر في النهاية أن يقسم بالولاء للشيطان ليلتزم بعدها على إنكار "الانتماء لوالديه ويكفر بالله والرسل والأنبياء"[4].

الشيطان يخدم الكفرة، فالكفر المطلق هو الهدف ولا فرق لديه بين دين ودين لأن ما يهمه اتباع شريعته وعقائده، خاصة التوحيد الذي به البراءة من اللعن والإثم، ومن ثم الإذعان لمشيئته لا غير، والسحر حسب

[1] - ص٢٣ الإنسان والسحر
[2] - ص٥٠١ مقدمة ابن خلدون
[3] - ص٢٣٥ الإنسان والسحر
[4] - ص٨٠ نفسه

"ابن منظور" في "لسان العرب" "عمل يتقرب فيه إلى الشيطان"[١]، حتى أن "النسيمي" ذاك الصوفي "كتب قل هو الله أحد وجعلها في طباق نعله"[٢]، حتى كانت له الكرامات أو الخوارق، إلى حد أن حكم عليه الفقهاء بسلخ جلده وهو حي. فالأرواح الكافرة المعينة للساحر إنما تجيبه إذا خرج عن دين الإسلام"[٣] إذا كان مسلماً، "والجني لا يتصل بالإنسي إلا إذا اشترط على الإنسي شرطاً- هو أن يكفر بالله- كأن يدخل إلى دورة المياه ويستنجي باللبن أو يأتي بالمصحف ويضعه تحت قدميه"[٤]، فالساحر لا يكون ساحراً إلا إذا حقق للشيطان ما يريد"[٥]، حتى أن الطلاسم في حقيقتها مؤلفة "من صلوات معروفة تكتب بطريقة مقلوبة"[٦]، وللسحرة النصارى قداس شيطاني "يرفعون فيه صليباً مقلوباً يتدلى منه رأس المسيح نحو الأسفل"[٧].

الساحر ينسب كتبه إلى مصادر علوية، وذا رياضات خاصة فله الخلوات التي يصلي فيها للأرواح وله إهانة المقدسات على اختلاف أنواعها عند البشر، وله السماع ورياضات الزهد والجوع والعطش والابتعاد عن النوم والجنس وأكل اللحم وصولاً للفناء الذي معناه التحرر

---

[١] - ص١٣ السحر بين الحقيقة والخيال
[٢] - ص١٥ ج١ فـ٣ اليواقيت والجواهر
[٣] - ص١٦٠ ج١ م٢٩ نفسه
[٤] - ص٢٠٩ السحر بين الأسطورة والخيال
[٥] - ص٢١٧ نفسه
[٦] - ص١٠١ السحر والتنجيم
[٧] - ص٣٣٥ الإنسان وقواه الخفية

من الجسد المادي، وعندها ستكون له العلاقة مع الأرواح أو الشياطين التي بفعلها سيحوز ما يسمى الخوارق أو الكرامات.

**ـ ملاحظة:**

لما بدأت دراسة التصوف اصطدمت بلغز حيرني لعدة سنوات، وسألت عنه كثيرين من أهل التصوف فلم أظفر منهم بجواب، وهو التساؤل عن سر اشتراط الغنوصيين بما فيهم الهندوس والمجوس واليونانيين وخلوتية أهل التصوف وعلى رأسهم حجة الإسلام الغزالي، عدم أكل لحم الحيوان وما خرج منه كالبيض والحليب واللبن وهو حلال، لمن أراد الدخول في الخلوة، حتى قرأت كتب السحر وإذ المفاجأة التي بها المساواة بين التقرب إلى الله والتقرب إلى الشياطين، وهذا ما سوف نراه في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

**ـ الفناء والساحر:**

الساحر برياضاته المختلفة، لا بد له من الوصول إلى الفناء الذي دونه لا اتصال بين الإنسان والكائنات الأخرى على الإطلاق فبه يتم تماس العالم المادي بالعالم الروحي أو الكائنات الأخرى، "وعلماء تحضير الجن يقولون بأن الفناء هيمنة قرين على الإنسان يجعله في سبات

عميق، ويتكلم هو بلسانه"[1]، والكاهن منذ القديم ذو فناء وغيبوبة، وفي معبد "دلفي لدى اليونان مثلاً يقال: "إن الكاهنة هناك كانت تقع في غيبوبة ثم تقدِّم إجابات عما يوجه إليها من أسئلة من الإله أبولو"[2]، فالفناء يتيح للأرواح الاستحواذ على الجسد، أو أن الفناء ناتجاً عن الاستحواذ، ولذلك اعتبروه علامة ودليلاً على أن هناك روحاً استحوذت على الوسيط أو "الساحر أو الصوفي" فأوقعته في سبات عميق سموه غيبوبة"[3] أو فناء.

[1] - ص١٣٤ السحر وتحضير الأرواح
[2] - ص٦٦ السحر والتنجيم
[3] - ص١٣٢ نفسه

# الوسطاء:

**ـ الخوارق لدى الوسطاء:**

لقد برز علينا في العصر الحديث وعلى حيثيات الدولة العلمانية بما توفره من حرية مطلقة، مصطلح آخر وأعني به "الوسطاء" ولم يكن الدافع لهذا المصطلح في الواقع وعلى الحقيقة إلا لإدراك أصحابه للاشمئزاز الذي يعاني منه السحرة في أية بيئة دينية وجدوا فيها، فالوسيط إذا ما تأملناه جيداً لا نراه إلا واحداً من أصحاب المنهج الغنوصي الذي ينتمي إليه الساحر والصوفي. إلا أن الوسطاء كما يزعمون يرفضون الانتساب إلى غموض وتمويهات أولياء التصوف، لأنهم لا يقولون بالاصطفاء والعصمة، وهم في غنى عن استغلال الدين وإلى ما هنالك، كما يرفضون الانتساب إلى السحرة، لأنهم كما يقولون لا يسعون إلى الطلاسم والحروف والشياطين وإلى ما هنالك، وربما لابتعادهم عن السحرة اقتصروا بزعمهم على القوى النفسية ولهذا أيضاً أصروا أنه لا علاقة لهم إلا مع أرواح بشرية لا مع الجن والشياطين، وهذا كما سنرى لن يستقيم لهم لتكون لهم العودة تارة أخرى إلى حضيرة السحر.

أما عن الظواهر الخارقة أو الكرامات التي تجري بين أيدي الوسطاء، فتقسم لديهم إلى عقلية معرفية، وفيزيقية أو مادية، أو معنوية وحسية على حد تعبير المتصوفة، وأهم الظواهر العقلية أو المعرفية هي ما يلي:

"أولاً: الاستشفاف أو الجلاء البصري، وهو تعبير ينصرف إلى ملكة رؤية ما لا يمكن للعين رؤيته بحاسة النظر العادية، ويتضمن الرؤية الصحيحة عن بعد للأشياء المادية، كما يتضمن الرؤية الصحيحة لأشياء موضوعة داخل علب أو مضاريف مغلقة ومختومة. ويتضمن بطبيعة الحال ملكة رؤية الكائنات غير المنظورة"[١].

فالوسيط إذن هو الآخر من أصحاب الكشف والمشاهدة حسب المصطلح الصوفي ولكنه بلا شيخ مقدس ولا رضي الله عنه ولا أسرار، وصراحة القوم تكفي لشكرهم بالفعل!

ثانياً: موهبة الاستشفاف أو الجلاء السمعي: وهو تعبير ينصرف إلى ملكة سماع ما لا يمكن للأذن العادية سماعه، ويتضمن احتمال التقاط العبارات العادية عن بعد، كما يتضمن انتقال الأفكار عن طريق التلباثي من مستوى مادي، وعن طريق الإلهام من مستوى غير مادي-.

ثالثاً: الكتابة التلقائية: التي قد تجيء عن طريق الجلاء السمعي والإلهام، كما تجيء عن طريق هيمنة مباشرة من كائن غير منظور على عقل الوسيط أو الوسيطة قد تمكنه أن يكتب بخط ليس خطه أفكاراً ليست أفكاره- وقد تكون بلغة لا يعرفها"[٢] الوسيط.

---

[١] - ص١٦٠ – ١٦١ ج١ الإنسان روح لا جسد

[٢] - ص١٦١ نفسه

رابعاً: أعمال فنية تلقائية. مثل الرسم والنحت والعزف. وكما قد يتم ذلك كله بطريقة تلقائية قد يتم أيضاً بطريقة مباشرة من الروح نفسها.

خامساً: طرح الجسد الكوكبي. وهي ظاهرة تجمع بين الجانب العقلي من ناحية أنها قد تستتبع القدرة على الجلاء السمعي أو البصري، وقد تستتبع القدرة على الكتابة التلقائية، كما تجمع بين الجانب الفيزيقي من ناحية أن الجسد الكوكبي المطروح خارج الجسد المادي قد يكون منظوراً لبعض وسطاء الجلاء البصري.

سادساً: تفوهات الغيبوبة التي تختلف عن ظاهرة الصوت المباشر في أن تفوهات تكون هنا بحنجرة الوسيط وبصوته المألوف وبلغته المعتادة، ولكن يبدو أنه قد توجد أحياناً هيمنة من الأرواح بصورة من الصور على وعيه.

سابعاً: ومنها ظاهرة إمكان التنبؤ. وقد يكون التنبؤ عن طريق هاتف خفي، أو إحساس مجهول، أو عن طريق حلم من أحلام النوم أو اليقظة"[1].

ثامناً: تعقُّب الأثر الروحي. عن طريق الإمساك بسلعة من السلع المملوكة لشخص معين"[2].

[1] - ص١٦٢ نفسه
[2] - ص١٦٣ نفسه

وكل هذه الظواهر من الكرامات أو الخوارق، يمكن إدخالها في نهاية الأمر "تحت وصف شامل هو الإدراك عن غير طريق الحواس"[١].

وأهم الظواهر الفيزيقية هي:

أولاً: تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية- وكثيراً ما تتخذ هذه الظاهرة في غرف الجلسات صورة رفع منضدة إلى أعلى بدون أي وسيلة مادية، وقد يرتفع الوسيط نفسه"[٢].

ثانياً: الكتابة المباشرة، ومعنى هذه الظاهرة أن يتحرك القلم على القرطاس تلقائياً وهو في غير متناول الوسيط أو الوسيطة- ويظهر هنا وجود قدرة عاقلة نشطة أجنبية عن عقل الوسيط أو الوسيطة- كما قد تقوم بأي نشاط علمي أو فني آخر مثل الرسم أو النحت-.

ثالثاً: الصوت المباشر، ومعناه ظهور صوت مسموع بالأذن العادية متميز تماماً عن صوت الوسيط أو الوسيطة، وقد يختلف عنه من حيث الذكورة أو الأنوثة- كما قد يختلف عنه من حيث اللغة- وقد يحتاج الأمر إلى وجود بوق قد يتحرك في الهواء من تلقاء نفسه"[٣].

---

[١] - ص١٦٤ نفسه
[٢] - ص١٦٥ نفسه
[٣] - ص١٦٦ نفسه

رابعاً: ظاهرة المجلوبات والمأخوذات الروحية، ومعناها انتقال الأجسام الصلبة عبر الجدران والأبواب المغلقة والعلب المختومة"[1]، وقد سجل بعض الباحثين إحضار كائنات حية إلى غرف الجلسات بهذه الطريقة كما سجل بعضهم انتقال الوسيط نفسه وهو في غيبوبة من غرفة مغلقة ومختومة إلى أخرى"[2].

خامساً: ظواهر العلاج المعجز لأمراض شتى جسمية وعصبية-.

سادساً: وظواهر العلاج الروحي كثيراً ما يصاحبها ظهور أضواء مجهولة المصدر تتطاير من جو الغرفة-.

سابعاً: حدوث تغيرات للجو وللوسيط في بعض الجلسات الروحية قد تتناول أحياناً درجة الحرارة والضغط الجوي- وسرعة النبض كما قد يتغير وزنه- وقد تنبعث أحياناً رائحة نفاذة غير معروفة المصدر، أو قد يسمع صوت آلة موسيقية غير مرئية"[3].

ثامناً: ظهور رسومات وكتابات على الألواح الحساسة- وأحياناً على جبين الوسيط"[4].

---

[1] - ص١٦٧ نفسه
[2] - ص١٦٨ – ١٦٩ نفسه
[3] - ص١٦٩ نفسه
[4] - ص١٧٠ ج١ الإنسان روح لا جسد

وإذا ما أردت الأمثلة المتنوعة لهذه الخوارق فحدث ولا حرج، وربما أن ولع الوسطاء في الحديث عن الخوارق يفوق ولع المتصوفة في الحديث عن كراماتهم.

وأخيراً لا بد لنا من الإشارة إلى الملاحظة التي تقول: إن الظواهر العقلية "لا تتطلب غالباً غيبوبة الوسيط، على حين تتطلب أغلب الظواهر الفيزيقية غيبوبة تامة أو جزئية ويبدو أنه بقدر ما يكون الاستحواذ – استحواذ الأرواح – قوياً بقدر ما يتطلب عادة غيبوبة الوسيط أو فنائه- إلا أنها تجيء من تأثير عقل الوسيط بعقل كائن متجرد عن جسده المادي – كأرواح الموتى – على عكس غيبوبة التنويم المغناطيسي التي تتطلب منوماً لم يتجرد بعد عن هذا الجسد"[١].

فالوسيط أو الولي إذن، يخضع لعملية تنويم أو ما يسمى الفناء عند الصوفية من الأرواح أو الجن أو من منوم بشري من الأحياء، إلا أن الوسطاء لا يذكرون الجن وإلى ما هنالك إلا في النادر، تماماً كما ينسب الصوفي كل مظهر من مظاهر خوارقه إلى الله عز وجل لا إلى الجن أو الأرواح. وعلى كل حال فإن الوسطاء أصدق وصفاً أو تفسيراً لأحوالهم أو لتلك الظواهر من الأولياء المتصوفة، فبينما يعلِّل الوسيط مثلاً تحدث الوسطاء بلغات لا يعرفونها وهم منومون أو أثناء الفناء باستخدام روح

---

[١] - ص١٦٤ نفسه

إنسان ميت كان لسانه تلك اللغة على الوسيط، نرى الصوفي بعباراته الجوفاء الطنانة يقول مثلاً على لسان النابلسي الذي هو منهم: "فإن كان التجلي الإلهي على العارف في الحقيقة العيسوية المحمدية كان لسانه في ذلك المشرب لساناً سريانياً- غير متبين المعنى"[١]، وهكذا يكون انتساب التفسير للمقدس الديني!

---

[١] - ص١٩٥ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس

- **الوسطاء والرياضات:**

الفناء أو السماع على حد تعبير المتصوفة هو الركن الأعظم في الرياضة عند كل أصحاب المنهج الغنوصي ولا فرق في ذلك بين السحرة والأولياء، إنه القمة وبه يصبح الإنسان وسيلة مطواعة للأرواح والفناء لا يكون إلا بالتخلص من الشعور المؤدي إلى الإحساس بالوجود أو إلى التخلص من فعل الحواس والبواعث الداخلية للتفكير، ومشايخ الوسطاء أو الواصلين يقولون: "أما طرق الحصول على هذه الغشية – أو الفناء – فهي كثيرة ومتنوعة، منها **الغناء الكنائسي** مصحوباً بالحركات التأرجحية كصلاة الهندوس وحلقات الدراويش – أو المتصوفة – أو باستعمال بعض العقاقير التي تغيِّر كيمياء الدم، وقد يحصل عليها البعض **بالعطش الشديد أو الجوع الشديد – أو باحتمال الألم أو بالانعزال لمدة طويلة شرط أن يكون انعزالاً تاماً يقطع المعلومات الخارجية**"[1] وهو الذي يسميه المتصوفة بـ "الخلوة"، أو خلوة العتمة.

وإذا ما تذكرنا التركيز والتأمل الذي أجاد الهنود وصفه وممارسته سنراه هو نفسه عند الوسطاء، حتى أنه لكل خارقة من خوارقهم علاقة به، فالتركيز الذي معناه طرد العقل عن علاقته بالجسد لا بد منه لمن أراد تحصيل ما يسمى "الحاسة السادسة" فمثلاً يقول "لويس سينجر" أن هذه

---

[1] - ص١٣٢ الحاسة السادسة والطاقة النفسية

الحاسة تكون للإنسان عند وصوله "إلى الاسترخاء الكامل بعد قيامه **بتركيز تفكيره على لا شيء** والسماح لعقله الواعي بأن يغرق في حالة من السلبية المطلقة"[1]، وشيخ الوسطاء "شيرمان" يرى أن الرياضات لا شيء إلا عدم الشعور "بوجودك في جسمك الفيزيقي"[2].

والتنويم المغناطيسي أو ما يسمى بنقل "الحال" عند المتصوفة يحتاج أيضاً إلى تركيز نظر المنوَّم بنظر المنوِّم وهو المعروف في التصوف بفناء المريد في الشيخ وإلا فلا تنويم، والوصول إلى امتلاك القوة المغناطيسية للمنوِّم يحتاج أيضاً إلى رياضات، ولكن كما يقول الوسطاء لا علاقة لها بالتقوى أو بدين دون دين أو بالمعاني الخلقية فما على الساعي لها مثلاً إلا أن يأخذ ورقة مربعة بيضاء سطحها خمسة عشر سنتيميتراً مربعاً ويرسم في وسطها دائرة في حجم نصف القرش ويسوِّدها ثم يثبت الورقة على الحائط إزاء نظره وهو جالس على كرسي أمامها ويحدِّق في الدائرة السوداء تحديقاً ثابتاً بدون رمش مدة دقيقة ثم يريح نظرة برهة، ويعاود التجربة مرة ثانية، ثم ثالثة حتى الخامسة، ثم يدع الكرسي في موضعه وينقل الورقة على بعد نصف متر جهة اليمين ويثبتها في الحائط أيضاً ويجلس على الكرسي كما كان وينظر إلى الحائط برهة ثم يحول بصره دون أن يحرك رأسه ويحملق في الدائرة السوداء

---

[1] - ص١٣٠ الإنسان والسحر

[2] - ص٧٧ حواسك الزائدة في خدمتك

نحو دقيقة، ثم يريح نظره ويكرر هذا العمل خمس مرات، ثم يثبت الورقة نحو جهة الشمال ويكرر التمرين كما سبق ويكرر هذه التمارين أماماً وجانباً حتى يمكن أن يحدق فيها ربع الساعة دون أن يرمش، أو تغرورق عيناه بالدموع، ومتى وصل إلى ذلك فقد حاز النظرة المغناطيسية المطلوبة وبذلك يمكنه التأثير في الأشخاص"[1]. فالتنويم المغناطيسي كما يقول "جيمس برياد" "يرجع أساساً إلى عملية تضييق الانتباه حتى يصل العقل إلى حالة يمكن أن تسمى "أحادية الفكرة" أو التركيز على فكرة واحدة ضيقة"[2]، وقد تكون الله أو اللاشيء أو رأس دبوس وإلى ما هنالك.

ومن الجدير بالملاحظة أن التنويم المغناطيسي كما يقول الوسطاء ليس محصوراً بعلاقة الأحياء بالأحياء فقط، بل إنه يمتد إلى علاقة الأرواح بالأحياء، فكما أن المنوِّم بإمكانه إحداث الغشية أو الفناء للمنوَّم كذلك بإمكان الأرواح أن تحدث هذا الفناء على الإنسان الحي لتستخدم جسده كوسيلة لها، وربما أن هذه الظاهرة هي التي يمكنها تفسير الشطح، والأرواح الشريرة عندها هي التي تقول على لسان الصوفي "أنا الله" أو "سبحاني ما أعظم شأني" وإلى ما هنالك من كفريات. وحتى إذا ما أصبح جسم الوسيط أو الولي محكوماً كله أو مهيمناً عليه من روح غير متجسد على حد تعبير الدكتور رؤوف عبيد، عندها كما يقول وفي هذه المرحلة

[1] - ص٦٦ السحر وتحضير الأرواح
[2] - ص٢٧٩ الإنسان وقواه الخفية

من الغيبوبة يمكن "تفسير القدرات الشاذة كالسير على النار"[١]، "والمناعة ضد السموم والجروح التي لا تنزف دماً"[٢]، فالشبح كما يقول الوسطاء أو الجن بالمصطلح الديني، يقول الوسطاء "لن يتمكن من الظهور لك إلا إذا سيطر على تفكيرك أولاً"[٣]، والمهم أن يكون دور الوسيط سلبياً "فعليه تهيئة الظروف التي قد تبدو مؤاتية لتيسير حضور الأرواح ومن هذه الظروف: الهدوء والمواظبة وأحياناً الظلام التام"[٤] هذا الذي شدد عليه الخلوتيون وعلى رأسهم الغزالي، "وأغلب نفوس الموتى كما يقول الوسطاء الراغبة في ممارسة نشاط مادي في الحياة الأرضية، تفضل استخدام "المركبات الجاهزة- وهي أجساد الوسطاء"[٥]، "فهي تتكلم من خلالهم أو تستخدم عقولهم وأجسامهم لأجل الكتابة الآلية أو الظواهر التحركية أو الأشكال المتخلفة للتجسد"[٦]، فهي تفضل أن تستخدم في الإدراك أعضاء الإحساس التي لدى الوسيط"[٧] فلها لسانه وأذنيه ويديه بل وعقله أيضاً ورؤوف عبيد يفسر مثلاً "التائية الكبرى" لابن الفارض الذي كتبها كما يقول المتصوفة وهو على الفناء أو عندما كان في غيبوبة بأن الروح المهيمن عليه هو الذي أملى التائية عليه بعد أن نوَّمه حيث أن

---

[١] - ص٢٧٧ ج١ الإنسان روح لا جسد
[٢] - ص٢٢٨ نفسه
[٣] - ص٧٢ الإنسان والسحر
[٤] - ص١٥٦ نفسه
[٥] - ص٦٠ نفسه
[٦] - ص٥٠ حواسك الزائدة في خدمتك
[٧] - ص٦٧٥ ج١ الإنسان روح لا جسد

العرب برأيه يسمون الغيبوبة المغناطيسية التي تحدثها الأرواح للأحياء "فتحاً"[1]، وربما أن الروح المهيمن على ابن الفارض هي التي سماها المدامة التي ظنها الذات الإلهية، وبالهيمنة هذه يمكن تفسير خطأ زعم الصوفي لحلول الله فيه أو للاتحاد به، حيث صدَّق الأرواح بأنها الله، ومن أين له التمييز بينهما وهو الفاقد لوعيه أو عقله؟!

[1] - ص٧٦٢ نفسه

## ـ الوسطاء بين الجن والسحر:

تحضير الأرواح عند الوسطاء من السحر و "كولن ولسن" يقول: "السحر يعتمد أساساً على استحضار الأرواح"[1]، وعند دراسته للوسيط "جيروم كاردان" قال عنه: "كان ساحراً بالمعنى الدقيق للكلمة، أي أنه كان يمتلك حاسة سادسة بالغة التطور، إلى آخر الملكات الغيبية الأخرى"[2]، ويقول أيضاً: "وأعتقد أنه يصاحب روحاً تلازمه على الدوام"[3]، فبدلاً من قول الوسطاء إذن "بالسحر والسحرة" قالوا بالعلمانية وتحضير الأرواح وكلا اللقبين حقيقة يدلان على أمر واحد"[4]. والملاحظ أن الراغبين في فصل الوسطاء عن السحر والسحرة لا نرى حجة لهم إلا تذكيرنا بالتاريخ الذي كان العلم فيه مختلطاً بالفلسفة بالسحر بعلم الفلك، قائلين: "وهكذا ابتدأت بحوث الروح تنسلخ تدريجياً من نطاق السحر كيما تدخل في نطاق العلم التجريبي- فلسنا هنا إزاء عالم من تمائم وتعاويذ ولا إزاء عالم من طقوس وأوراد بل نحن إزاء دراسات عميقة"[5]. ولكن السحرة لم ينفوا الوسطي بالفطرة الذي لا حاجة له إلى الرياضات والأوراد والصوفي لم تكن أوراده وطقوسه إلا من باب الرياضة التي لا غنى عنها حتى عند الوسطاء، فليس من فرق بين الوسيط والصوفي

[1] ـ ص٢٥٠ الإنسان وقواه الخفية
[2] ـ ص٢٦٦ نفسه
[3] ـ ص٢٦٦ نفسه
[4] ـ ص١٠٩ السحر وتحضير الأرواح
[5] ـ ص٢٢٥ ج١ الإنسان روح لا جسد

والساحر طالما أن المنهج هو نفسه عند الجميع ابتداء من الرياضات نهاية بالتعامل مع الكائنات الأخرى مروراً بالفناء.

التعامل مع الجن أصل من أصول السحرة، والوسيط "علي عبد الجليل راضي" يتهم أعدائه من الوسطاء بالتعامل مع الجن قائلاً: "ألاعيب الجن الذين يسيطرون على الوسطاء المنحطين الذين ما أكثرهم الآن في بلادنا"[١]. فالوسطاء برأيه نوعان منحطين وشرفاء، والشرفاء يقتصرون على مواهبهم الطبيعية دونما تعامل مع الجن، ولكنه بالمقابل يقول بالتعامل مع أرواح بشرية، وكأن الشياطين عاجزة عن هذه المزاعم أو عن التشكل في هذه الهيئة أو تلك، وها هي الجنية كما يروي الوسطاء قد أخبرت الوسيط أنها قررت أن تتخذ منه وسيطاً يعاونها على شفاء المرضى من بني الإنسان"[٢]، وبعض الذين بحثوا في شؤون الوسطاء يقول: "إبليس هو الذي- يثقِّل السلة – سلة تحضير الأرواح – بحجة أن الروح حضرت فيها، وربما يثقِّل الميت أو نعش الميت ليثبت بذلك أنه ولي يريد ضريحاً ضخماً يزار ويستغاث به"[٣]، والكنيسة الكاثوليكية بدورها هي الأخرى حرمت بشكل قاطع أي اتصال بالأرواح وقد اعتبرتها جميعاً أرواح شريرة بل شياطين- ولكن القرن العشرين قرن

---

[١] - ص٩ حواسك الزائدة في خدمتك
[٢] - ص٢٣٩ الإنسان والسحر
[٣] - ص٩٨ السحر وتحضير الأرواح

الحرية لكل شيء في العالم الغربي" كاد أن ينسى أو يقلل من أهمية الدور الذي تلعبه الشياطين في المسائل البشرية"[١].

[١] - ص٢٩ السحر والتنجيم

## ـ الوسطاء والعصمة:

الوسطاء في عصرنا لا يزعمون العصمة والحفظ لأنبائهم كالصوفي، بل ويقرون بأخطائهم وكذب تنبؤاتهم أو أخبارهم في أحيان كثيرة، وأمورهم فيها من النوادر الشيء الكثير، فذات مرة مثلاً حضرت روح وزعمت أنها روح فلان وإذ تبين فيما بعد أن الرجل الذي تسمت باسمه ما زال على قيد الحياة وكثيراً ما تنبأت الأرواح بأحداث ستقع في المستقبل وإذ بهذه الأحداث قد كانت واقعة فيما مضى.

أما عن التلبثة والتخاطر ونقل الأفكار وتلقيها، فإن الوسيط يعجز عن تحديد مصدرها إن كانت عن الأرواح أو من فعل بعض الأحياء الذين يبثون أفكارهم، ويقول "شيرمان": "الانطباعات قد تكون قادمة من عقل الشخص المستمع الذي لديه سجل لصورة ذهنية عن مظهر الشخص المنتقل"[١]. أي أنه لا يستطيع التمييز إذا ما كان الخاطر عن أرواح الموتى أو عن عقول الأحياء الذين يعرفون الكثير عن الميت.

ويعترف الوسطاء أيضاً بإمكانية تلاعب الأرواح بهم ورؤوف عبيد يقول: "إن أقوال الأرواح نفسها ليست معصومة وقد يكون فيها من هذر ضار"[٢]، وغالباً ما تكون "أنباء الأرواح عن الغيب غير صحيحة"[٣]، بل

---

[١] ـ ص٢٨٧ حواسك الزائدة في خدمتك

[٢] ـ ص٩٧ ج١ الإنسان روح لا جسد

[٣] ـ ص١٣٨ ج٢ نفسه

ولا قدرة لهم على "معرفة المستقبل على وجه مطلق ودقيق"[1]، وليس هذا فحسب "فالأرواح غير الراقية قد تعمد في أحوال كثيرة إلى إلقاء نبوءات مكذوبة كثيرة من باب التخمين أو السخرية من بعض الحاضرين بعد أن تقرأ ما قد يجول بأفكارهم إمعاناً منها في السخرية وفي التضليل"[2]، "والأرواح غير الراقية تميل أحياناً إلى انتحال أسماء ضخمة كيما تستدعي انتباه الحاضرين وتسعد بانتباههم، بل إن هناك أرواحاً مصابة بلوثة من جنون العظمة، فتعتقد اعتقاداً جازماً بأنها أرواح لعظماء- كاسم شارلمان أو نابليون، أما الأرواح الراقية فهي الأخرى قد تستخدم "من أجل التواضع" أسماء تنكرية شتى"[3].

ولكن إن كان الوسيط نفسه لا يعرف روح من هذه التي حضرت بين يديه وإذا كان خاضعاً للخديعة من الأرواح غير الراقية والأرواح الراقية على السواء، وإذا كان لا تمييز له بين مصادر هواتفه أو وحيه وإذا كانت الأرواح مصدر معارفه جاهلة كذوبة مضللة، فهل لهؤلاء الوسطاء من شيء؟ لا، فليست الكهانة على شيء كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] - ص١٤٤ نفسه
[2] - ص١٤٦ نفسه
[3] - ص٢٤٠ ج١ نفسه

- ملاحظة: الوسطاء يشاركون المتصوفة اعتقادهم في وحدة العقائد، قائلين: إن "التسامح الديني يبلغ ذروته في هذه المناطق – الروحية – التي فيها عبادة الله على كل أسلوب ونمط"[1]، وقد "أجمعت الأرواح الراقية على تأكيد هذه البديهية الواضحة"[2]، بديهية وحدة العقائد التي يتساوى فيها كل العقائد والأديان وإلى ما هنالك.

فوحدة العقائد بتوحيد لا معبود إلا الله التي نادى بها المتصوفة والوسطاء مصدرها الأرواح أو قل الشياطين إن لم ننس الإنكار الديني لهذا التوحيد.

إن القول بوحدة الوجود لا بد له من القول بحيوية الكون، والوسيط شيرمان بمعرض تفسيره للتخاطر مع المادة يقول: "إني متأكد أنه يوجد في كل شيء سواء كان حياً أو جامداً – نوع من ذكاء وأنه يمكن للعقل ذي الحساسية أن يتصل بهذه الأشكال المختلفة من الذكاء"[3]. فتفسير الظواهر الباراسيكيولوجيا لدى كل أصحاب هذا المنهج لا بد له من افتراض وحدة الوجود طالما لا يقرون في الغالب بأنهم الأولياء لله أو للجن.

---

[1] - ص١٧٠ ج٢ نفسه

[2] - ص١٧١ ج٢ نفسه

[3] - ص١٢٥ حواسك الزائدة في خدمتك

## ـ الوسطاء والنبوة:

لقد قلنا أن منهج السحرة في عداء وحسد دائم للنبوة وإذا ما سلمنا بأن الوسيط هو نفسه الساحر فلا بد عندها من إلقاء الضوء على معنى النبوة عند الوسطاء وقد اخترت لهذه المهمة الوسيط "علي عبد الجليل راضي" في كتابه "حياة محمد الروحية" كمثل يفي بهذا الغرض. وكتابه الآنف الذكر حسبما يزعم وعلى الطريقة الصوفية وحي من الأرواح الراقية، وها هو يصفق لنفسه قائلاً: "وإحقاقاً للحق أقول: إن قوة من عالم الروح هي التي ألهمتني وشجعتني وساعدتني على كتابة هذا المؤلف في تسعين ليلة"[1]. وهذا أيضاً ما قاله ابن عربي عن الروح بدر الحبشي، وبالالتباس نسب الصوفية كتبهم إلى الله أو الإلهام وإلى ما هنالك.

ومن هو محمد ﷺ برأي الرجل؟ إنه وسيط سلك دروب الرياضات حتى كانت له النبوة، فمحمد حسب رأيه "درَّب نفسه وأظهر نوره"[2]. فالنبوة بزعمه كسب لا اصطفاء، ومن توفرت فيه شروطها فهي له كائناً من كان ومتى كان! وهذا أيضاً ما قال به المتصوفة ابتداء من الغزالي انتهاء بابن عربي، والقوانين الروحية "تقول: أن الاتصال – بالأرواح – يمكنه أن يتم إذا توفرت ثلاثة عوامل على الأقل وهي: استعداد جهاز الاستقبال، النبي أو الشخص الموحى له، واستعداد جهاز الإرسال، جبريل

[1] ـ ص٦ حياة محمد الروحية
[2] ـ ص٣٤٢ نفسه

أو غيره من الأرواح، وصلاحية الجو الروحي الموصل بين عالم الأرض وعالم الروح"[1]، ولتوضيح شروط ظاهرة النبوة يقول: "إن كل الصفات المطلوبة هي صفات روحية إذا تكاملت في شخص كان هذا الشخص رسولاً أو وسيطاً علوياً. هذه الصفات المقصودة هي أنواع الوساطات الروحية العديدة التي كان يتمتع بها محمد صلى الله عليه مثل الغيبوبة والجلاء البصري والسمعي والإلهام والطرح الروحي والمجلوبات إلى غير ذلك"[2]، فالأنبياء "نقول: أنهم رجال كانت درجاتهم في الوساطة عالية بحيث مكنتهم من الاتصال بالملائكة أو بجبريل على الأقل. مرتفعين في الذبذبة عن بقية البشرية"[3]، فالرسول ﷺ برأيه وسيط علوي ذو ذبذبة عالية ومواهب شتى، إلا أن مواهبه لم تكن لديه بالفطرة فحسب، فقد كان كواحد من أصحاب اليوغا، واعلم أن "بواتاما والمسيح ومحمد. إن هؤلاء الرجال كانوا يوغيين"[4]، ولهم رياضاتهم، وعن رياضات الرسول ﷺ يقول: "إن محمداً ﷺ كان مغرماً باللبن والبلح والحلوى ولم يعرف التدخين ولا الكحول في حياته، **كما كان مقلاً في أكل اللحوم**، فهو إذن كان على علم بالقانون الذي يتبعه اليوغيون والروحيون والصوفيون

---

[1] - ص١٠٩ نفسه
[2] - ص٣٢ نفسه
[3] - ص١٥ نفسه
[4] - ص٢٢ ــ ٢٣ نفسه

للحصول على التقدم الروحي"[١]. فالامتناع عن الكحول برأيه ليس عن أمر إلهي وإنما علمه برياضات اليوغيين أداه إلى الزهد وتحريم الخمر وإلى ما هنالك من شريعة وطقوس، وأيضاً يقول: "كانت عوامل الفقر واليتم والوحدة كلها عوامل مساعدة على تقدم محمد روحياً- وحبب إليه الخلاء والتأمل والبحث في أمور ما وراء الفيزياء"[٢]، ورعاية الغنم عامل مهم في نفسها وعامل روحي على وجه التحديد"[٣]، ويرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تريض حتى "أصبح في مرتبة سامية جذبت إليه الروح القدس"[٤]، كما كان يعقد جلساته الروحية في الظلام، في غار "حراء الذي لم يكن يذهب إليه غيره هو اختيار – ممتاز – حيث هناك جو أو ذبذبة معينة للمكان المختار للاتصال الروحي"[٥]، فقد "كان روحه المرشد يوجهه للاختيار"[٦]، اختيار مكان خلوته.

وإذا كانت الرياضات تنتهي بالفناء أو الغيبوبة فإن رياضات محمداً أدت به إلى الفناء المعبر عنه بـ"صلصلة الجرس"[٧] التي "قد تتشابه مع

---

[١] - ص٢٤ نفسه
[٢] - ص١١ نفسه
[٣] - ص٢٩ نفسه
[٤] - ص٢٨ نفسه
[٥] - ص٣٠ نفسه
[٦] - ص٢٨ نفسه
[٧] - ص٥١ نفسه

أعراض مرض الصرع"[1] وبالفناء كان "يسلِّم نفسه للروح المهيمن ليستخدمه كآلة أو كبوق يتحدث منه إلى عالم المادة"[2]!!

[1] - ص٥٤ نفسه
[2] - ص٥٤ نفسه

## - جبريل والقرآن:

جبريل برأي هذا الوسيط يسمى "الروح القدس أو الروح المرشد لمحمد ﷺ وللأنبياء السابقين"[١]، بل إن الدين الإسلامي إنما جاءت مبادئه وحرفياته نتيجة للاتصال الروحي"[٢]، "أي: الاتصال بين روح إنسان متجسد – يسمى محمد – وروح ملاك أو إنسان غير متجسد"[٣] يسمى جبريل. فالملائكة برأيه أرواح بشرية غير متجسدة أو بلا جسد مادي، وجبريل أحدهم، وكل ما في الأمر أن لفظة الملائكة تطلق على الأرواح البشرية التي تميزت بالسمو والرقي الروحي.

والقرآن برأيه كأي كتاب زعمه الروحيون من لدن الأرواح، ولكنه متميز بكونه عن روح بشري حاز السمو والرقي، عن جبريل، وفي ذلك يقول: "وإذا ما كان الأنبياء يجذبون إليهم الملائكة، فالوسطاء والأولياء يجذبون إليهم أرواحاً بشرية تتفاوت رتبها على حسب رتبة الوسيط أو الولي- وتكون النتيجة أنه كما توجد كتب مقدسة جاء بها جبريل الأمين للأنبياء كذلك توجد الآن آلاف الكتب أوحى بها أرواح أقل في الدرجة من الملائكة"[٤]. وإذا كان جبريل هو الروح المرشد لمحمد ﷺ في طريقه الروحي، فإن القرآن عندها ليس إلا مجموعة من النصائح والإرشادات

---

[١] - ص٣٣ نفسه
[٢] - ص٣٢٥ نفسه
[٣] - ص٣٢٥ نفسه
[٤] - ص١٣٢ نفسه

التي أملاها جبريل لمحمد ﷺ، "فالقرآن كتاب موحى به من عالم الروح إلى عالم الأرض من لدن حكيم عليم – يسمى جبريل – لكي يرشد البشر إلى الطريق القويم"[١]. فالقرآن إذن من تأليف جبريل صاغه بالعربية بلغة وسيطه محمد، ولكنها أيضاً جاءت "ممتزجة في النادر بكلمات أعجمية قد تكون من ذاكرة جبريل إثر استخدامه لها مع الأنبياء السابقين"[٢]، والقرآن حسب زعمه هذا ستحوم حوله الشبهات والشكوك إن لم نأخذ بتفسيراته، ومن هذه الشكوك التي يثيرها أن محمداً ﷺ أمي ودعوته في مكة كانت سرية فمن أين إذن أتى بكاتب يدون له ما يهبط عليه"[٣]، وليس هذا فحسب فالتاريخ أيضاً "لم يذكر لنا أن خديجة كانت تعرف الكتابة أو اشتركت فيها- إنه للغز كبير! من الذي كتب القرآن في الفترة المكية؟"[٤]، "والعجيب هو كيف يكلف جبريل أناس – كمحمد – بالحفظ وبعدم الكتابة- . ولماذا أمر النبي بكتابته إذن؟-. "والجواب أن الروح يجعل لنفسه – بذلك – مقعداً-. أما أن النبي كُلِّف بحفظ القرآن فهذا شيء لا يستسيغه عقل"[٥]. إنها ألعوبة من جبريل إذن ليحافظ على مكانته حتى يبقى محمد

---

[١] - ص١٢١ نفسه
[٢] - ص١٣٢ نفسه
[٣] - ص١١٧ نفسه
[٤] - ص١١٨ نفسه
[٥] - ص١٨٢ نفسه

محتاجاً إليه، لأن "في وسع جبريل أن يعيد قراءة القرآن في أي وقت ولو بعد آلاف السنين"[1].

ومن افتراضاته التي أراد بها حل لغز كتابة القرآن في الفترة المكية هي قوله بأن الرسول كان يتمتع بموهبة الكتابة التلقائية أو الكتابة بالهيمنة، أي "بأن أفرض – كما يقول – بدلاً من تعلم النبي للكتابة العادية تعلمه للكتابة الروحية. ومعناها أنه لا يمكنه أن يكتب إلا إذا استولى جبريل على يده وجعله يكتب، وإذا ما ارتفع الوحي عنه أصبح النبي أمي ثانية لا يقرأ ولا يكتب. وإني لأشهد الله أني بعد أن كتبت هذا الفرض- لاح أمام ذهني طيف الرسول الكريم- فتراجعت عن رأيي"[2] أدباً واحتراماً له.

الساحر أو الوسيط يحسد النبوة دائماً ويزاحمها ظناً منه بأنها من جنس أحواله، والصوفي لا خروج له عن هذه المشاعر، فمحمد صلى الله عليه وسلم كما يزعمون ذو رياضات وله علم بالقوانين الروحية، وبذلك كان له اكتساب النبوة، وما القرآن إلا من إملاء جبريل ولا علاقة لله في هذا الأمر!

---

[1] - ص١٢٣ نفسه

[2] - ص١١٨ – ١١٩ نفسه

## ـ المعجزات النبوية برأي الوسطاء:

لا يقر الروحيون بالمعنى الحقيقي للمعجزات النبوية، لأنها برأيهم من جنس خوارقهم "فالمعجزات برأي – علي عبد الجليل راضي – يمكن حدوثها بناء على قوانين روحية"[1]. وهذا يعني أنها ليست مما يعجز عنه البشر، ولا هي عن تدخل إلهي، ولا علاقة لها بالصدق أو الكذب، ومن عرف قوانينها كانت له ولو كان زنديقاً فاسد العقيدة! بل ولن يتوانى عن نعت الأنبياء بالسحرة قائلاً: "فموسى مثلاً أعطي قوة السحر الأبيض وعيسى أعطي قوة العلاج الروحي وهكذا، والمعجزة قد يقوم بها النبي والساحر على السواء"[2].

والمعجزات إنما تكون بفعل الأرواح المنحطة "ولا أقصد بذلك أن أقول أنها أرواح شياطين أو أرواح بشرية شريرة، وإنما أقصد – كما يقول – أنها أرواح أناس ذكاؤهم إن صح لنا هذا التعبير أقل من ذكاء الأرواح المرشدة الأخرى"[3].

ومحمد ﷺ نفسه كان يكره إتيان المعجزات، بل وكان معقداً من البشر المنحطين الذين يطلبون المعجزة دليلاً على صدقه، فقد "جاء محمد – كما

---

[1] ـ ص٢٥١ حياة محمد الروحية
[2] ـ ص٢٤٨ نفسه
[3] ـ ص٢٤٨ نفسه

يقول أيضاً – وعنده هذه العقدة من جهلة البشر"[١]، ولولا عقدته هذه ما فعل لهم المعجزات.

وإذا ما قرأ الوسطاء معجزات النبوة فلا يرونها ذات وزن إن لم يصرحوا كالمتصوفة بأن لديهم ما هو أعظم منها ولكن الوسطاء لا يقولون بالإرث لمحمد والأنبياء ولا بالاستدراج وإلى ما هنالك.

فقد كان النبي ﷺ يعالج بوضع اليد على المريض والدعاء فيشفى، ولكن كما يقول الوسيط: أن "كل من يقرأ الصحف الروحية يجد أن كثيراً من الجلسات تعقد يومياً في جميع أنحاء العالم للقيام بعلاج المرضى علاجاً روحياً"[٢]، وكل ما في الأمر "أن هناك إشعاعات مضيئة يمكن رؤيتها صادرة من أطراف أصابع المعالجين أو الوسطاء"[٣]. وما الشفاء إلا بهذه الإشعاعات لا بالدعاء، فقد كان محمداً ﷺ يموِّه على الناس فيضع يده ويدعو لإيهامهم بأن العلاج يتم بالدعاء والتدخل الإلهي، ومعلوم "أن النبي ﷺ كان يعالج بالدعاء واليد في وقت واحد، وليس بالدعاء وحده، فاليد فيها قوة – كهربائية – أو بركة"[٤]، على حد تعبير المسلمين الذين لا يعرفون حقيقة الأمر، ولو كان محمد صادقاً لعالج بالدعاء وحده دون وضع اليد على المريض!!

---

[١] - ص٢٥٠ نفسه
[٢] - ص٢٣٤ نفسه
[٣] - ص٢٣٥ نفسه
[٤] - ص٢٤٥ نفسه

وماذا إن أعاد الرسول عين "قتادة" المقلوعة فبرئت، وماذا إن نفث في ساق ابن الحكم في موقعة الخندق فبرأ في الحال؟ وهذا على فرض أن عين قتادة خرجت عن موضعها، فإعادتها – كما يقول – ليس شيئاً شاذاً على القوانين الروحية على أية حال"[١]، "وفي العصر الحديث نجد أن كثيراً من العمليات الجراحية تجريها الأرواح"[٢] يومياً، وهي أعظم وأعقد ألف مرة مما تزعمونه للرسول، وها هو الصوفي يحيي الموتى ودون أن يكون هذا لنبيكم!

بل وتزعمون أن من معجزاته ﷺ رؤيته لما هو خلفه كرؤيته لما هو أمامه، وأية معجزة هذه "ولقد جلست مع وسطاء يرون الشخص القادم من الغرفة الثانية من وراء ظهرهم، بل يرونه وهو يدخل الشارع الذي نحن به"[٣]، "وإن هوراس ليف الوسيط المعروف عندما كان صغيراً كان يرى بكوعه وبالمنطقة الواقعة بين الكتف والعجز"[٤]، فأين هذا مما زعمتم؟!

محمد ﷺ كان يستخدم مواهبه الروحية – كما يقول – لتضليل الناس وإيهامهم بما يشاء من أفكار أو عقائد، فمثلاً استخدم موهبته في التخاطر مع الحيوانات لإيقاف الناقة حيث أراد ومن ثم قال لأصحابه: "اتركوها

[١] - ص٢٣٨ نفسه
[٢] - ص٢٣٩ نفسه
[٣] - ص٧٤ نفسه
[٤] - ص٧٥ نفسه

فإنها مسيرة"[1]، أو مأمورة من الله!! وعندما أراد التخلص من إلحاح أصحابه في الهجوم على قريش يوم صلح الحديبية "نجد ناقته تبرك فجأة في الطريق، فظن الناس أنها أجهدت ولكن محمداً قال لهم: إنما حبسها حابس الفيل عن مكة"[2]. يقصد الله، بينما الحقيقة أنه نقل إليها فكرته بالتوقف فوقفت.

واعلم بأن الحديث مع الحيوانات – كما يقول – أمراً يسير "فمثلاً تقول "ليزلي كويلس" في مجلة نيد أنه كان يمكنها أن تسمع غناء الفئران وتفهم لغة تخاطبها، وتدرك شعور الحيوان من فرح وحزن"[3]، ورواية إتيان الأشجار للنبي والسلام عليه ليست شيئاً مستغرباً أمام الروحيين"[4]، وقد حدث مثل هذا من أحد اليوغيين، ومن وسيط رآه الدكتور "شاهين الصليبي"[5] رأي العين.

وحتى إن قلتم أنه ﷺ تحدث إلى الجماد فليس في الأمر من معجزة، إنها موهبة الجلاء السمعي وكثيرين هم الذين يتمتعون بها، والوسيط

---

[1] - ص٩٢ نفسه
[2] - ص٩٢ نفسه
[3] - ص٢٤٦ نفسه
[4] - ص٢٦١ نفسه
[5] - ص٢٦١ نفسه

"إدجار كايس"مثلاً يقول: "أن حجراً يدعى "جيم" يمكنه أن يغني ولا يسمع الشخص العادي هذا الغناء وإنما يسمعه ذوو الجلاء السمعي"[1] فقط.

أما عن الرؤيا الصادقة التي كانت تأتي لمحمد ﷺ كفلق الصبح يقول: "هذه الرؤيا الصادقة التي كان يراها محمد ﷺ هي نوع من المواهب الروحية المعروفة عند الروحيين الآن"[2]، وتعليل هذه الظاهرة ينحسر في سفر روح محمد مع الروح المرشد أو جبريل، ومن ثم يذكر ما أدركه عندما يستيقظ "فقد كانت تنام عينه ولا ينام قلبه فنرى إذن أن القلب هنا يعني الجسم الروحي الذي لا ينام مع نوم الجسد الفيزيقي"[3] أو المادي.

وما الذي سيقوله عن معجزة الإسراء والمعراج؟ يقول: إن حدث المعراج قديم قدم التاريخ، ولو رجعنا "إلى قصة إسراء محمد لوجدنا نفس القانون يسري: وجود وسيلة وهمية مأخوذة من بيئته وهي البغل أو البراق"[4]، "والإسراء – أيضاً – قديم"[5]، إنه المعروف "بطرح الروحي الأرضي أو الإسراء"[6]، "ومما يحسن ذكره – يقول – أنني شخصياً أمارس هذا النوع من السفر أثناء النوم"[7]، والوسيط المشهور "بلومفيد"

---

[1] - ص٢٦٨ نفسه
[2] - ص٣٩ نفسه
[3] - ص٤٠ نفسه
[4] - ص٢٣٠ نفسه
[5] - ص٢١٤ نفسه
[6] - ص٢١٩ نفسه
[7] - ص٢٠٤ نفسه

كان له معارج كثيرة ولكن الحرفيون أو المحجوبون يعتقدون أن الإسراء "معجزة خارقة للقانون مع أن كل شيء يسير في هذا العالم بناء على قانون"[1].

أما المعراج الذي معناه الرحلة من صخرة بيت المقدس إلى السماء، فإنه مما لا شك فيه – كما يقول – أن هذه الرحلة كانت بالروح لا غير إذ لا يمكن أن يرتفع الجسد الأرضي من باب إلى السماء"[2]، أما عن الادعاء بأن محمداً قابل ربه ليلتئذ فهذا لا يقره عقل"[3]، والقول بالبراق "ما هو إلا تقريب للأذهان. إن البراق ما هو إلا صورة رمزية ليس إلا"[4].

وعن أنبائه ﷺ بوجود الجنة والنار، فتلك برأيه لها أمثلة كثيرة عند الوسطاء، وها هي الوسيطة "سكيتا" مثلاً "قامت. بعملية طرح "أو عروج للطبقات المختلفة وزارت جهنم والجنة ووصفت كل هذا تفصيلاً بشكل يدعو للعجب لأن الوصف لا يختلف كثيراً عن وصف النبي محمد لهما"[5]، والوسيط "سويدمبرج" أيضاً "كتب كتاباً اسمه الجنة والنار وما

---

[1] - ص٢٠٢ نفسه
[2] - ص٢٢١ نفسه
[3] - ص٢٢٣ نفسه
[4] - ص٢٢٨ نفسه
[5] - ص٢٢٥ – ٢٢٦ نفسه

جاء في هذا الكتاب عن حلمه لجهنم، لا يختلف كثيراً عما وصفه بها النبي محمد ﷺ أو غيره من الملهمين"[1].

أما معجزة انشقاق القمر، فيقول: "نحن – أي الوسطاء – لا نسلِّم بحدود أي انشقاق للقمر ذاته. إن ما رآه النبي وصحبه من انشقاق القمر لم يكن سوى انفجار فيه، ولكي يريه محمد لقومه فقد استخدم قوة روحية في إكساب الحاضرين موهبة الجلاء البصري على هيئة جماعية. أما التفسير الثاني فهو أن الرؤيا كانت منصبة على أحد النجوم المزدوجة، وقد يكون النبي قد أراهم النجم في وضع عندما كان يخفي زميله وراءه، ثم أراهم إياه عندما دار الزميل وظهر هو الآخر، وبرؤيتهم هذا النجم المزدوج **هيئ لهم أنه انقسم إلى نصفين** أو توالد إلى شبيهين تماماً كما ينقسم الرغيف المستدير إلى وجه وقاعدة كلاهما له نفس الشكل"[2].

"أما التفسير الثالث لقصة انشقاق القمر فهو أن محمداً ﷺ استخدم نفس موهبة النبي موسى والتي يسميها الروحيون السحر الأبيض. وهو ما استخدمه موسى مع آل فرعون. **وأوهم به محمد الحاضرين بأن القمر أصبح قسمين**. ونحن نرى في عصرنا هذا كيف يستطيع الفقير الهندي

[1] - ص٤٢ – ٤٣ نفسه
[2] - ص٢٥٦ نفسه

مثلاً أن يجعل الحبل ثعباناً. ولكن لا غبار على السحر الأبيض ما دام يُستخدم لهدف سام"[1].

فمحمد ﷺ وفق مزاعم الوسطاء ساحر مشعوذ ليس بينه وبين القيم أو الفضائل الخلقية رابطة البتة ولن يتورع عن خديعة أقرب المقربين إليه، فقد نقل موهبة الجلاء البصري لقومه ليريهم انفجاراً على سطح القمر أو ليريهم نجمين مزدوجين ثم زعم أن ما رأوه معجزة به من لدن الله الذي شق القمر نصفين أو أنه خيَّل لهم بسحره حتى رأوا القمر قد أصبح قسمين شأنه في ذلك شأن الساحر موسى وكل اليوغيين الهنود، والحقيقة بزعمه أنه لا قمر منقسم ولا وجود لشيء اسمه معجزة.

الأنبياء كلهم سحرة والصلوات التي أمروا الناس بها ليست إلا إحدى وسائلهم السحرية، "وبالحق إن كثيراً من الظواهر الفيزيقية – كما يقول – يمكن إحداثها بطريقتين: الصلاة أي السحر الأبيض أو الكهانة أي السحر الأسود، فالأولى هي طريقة الأنبياء والصالحين والثانية هي طريقة السحرة والسفليين"[2]. فالأنبياء ذوي أغراض سامية، ولن يعيبهم إذن استخدامهم للسحر، والسحر عندها يسمى سحراً أبيضاً!!

[1] - ص٢٦٦ نفسه
[2] - ص٢٥٩ نفسه

أما عن نبغ الماء من بين أصابع الرسول ﷺ فيقول: "الشخص الموحى إذا كان قوي الإرادة يمكنه أن يأتي بنتيجة مادية من فكرة وهمية كالري بعد العطش الشديد، والمرء لا يستبعد أن يكون النبي ﷺ قد استخدم هذه النظرية في المناسبات التي كان يشح فيها الماء عن القافلة أو المصاحبين له ما دام الهدف نبيلاً"[1].

فقد كان يستخدم التخييل، ليري أصحابه الماء الموهوم، وبسحره كانوا يشعرون بالري من هذا الماء، وإنها لحيلة بارعة ولكن لا بأس بالغش والخداع ما دام الهدف نبيلاً!!

الرسول كاهن وبرهانه أن محمداً ﷺ "كان يردد دائماً وصف نفسه بأنه عبد الله، وهذا الوصف سبق أن عُرف منذ قديم الزمن. كما جاء في كتاب "ديانة القدماء المصريين" لمؤلفه "جارسلاف كرين" أن الاصطلاح المعتاد لكلمة كاهن كان "هوم" ومعناه "عبد" وبعدئذ استخدم الاصطلاح "هوم نيتر" ومعناه "عبد الله". هذا وقد جاء في كتاب "أول فرعون" لمؤلفه "بجمار" أو "كونر" أن كاهناً عظيماً كان يدعى عبد الله نادى بالوحدانية ولا يختلف في عقيدته عن عقيدة المسلمين"[2].

---

[1] - ص٢٥٤ نفسه
[2] - ص٢٩٣ نفسه

وإذا ما قورن محمد ﷺ بغيره من الوسطاء فلا يمكن اعتباره حينئذ ذاك الوسيط المتفوق فلم يكن حسب رأيه من الذين يتمتعون بموهبة تجسيد الجان "فلم تكن له وساطة تجسيد الجان مثل النبي سليمان، تلك الوساطة التي كانت تمكنه من إظهار الجان متجسدين يراهم كل الناس"[1]، ولم يكن له معرفة الغيب، ففي صلح الحديبية "كان محمد لا يعرف أن عثمان ما زال حياً"[2]، وحتى أنه "لم يتعرف بمواهبه الروحية على أخته في الرضاعة"[3]، وعندما طعنت نساء النبي في طهارة "مارية القبطية" واتهموها بعلاقة مشبوهة مع واحد من خدمها، وكل الرسول أمر التحقيق إلى علي بن أبي طالب "وبعد أن حقق الموضوع علي وجدها بريئة وأخبر الرسول أن ذلك الخادم خصي. ونجد أن النبي ﷺ لم يعرف حقيقة الأمر في نفسه ولم يخبره جبريل"[4].

وختاماً نقول: الوسطاء لا يقرون بالمعجزات حيث لهم كما يزعمون أمثالها، وكل ما لم يكن مثله فأخباره برأيهم غير صحيحة، فليس النبي ﷺ بزعمهم إلا واحداً من السحرة المشعوذين بالتخييل، وبما لديهم من ملكات، ولكنه ليس أفضلهم، حتى أنه لم يتورع عن خديعة أقرب الناس إليه كما لا علاقة بينه وبين الفضائل على الإطلاق.

---

[1] - ص٦٥ نفسه
[2] - ص٣٤٥ نفسه
[3] - ص٣٤٧ نفسه
[4] - ص٣٤٨ نفسه

## ـ الوسطاء والتكاليف:

التكاليف برأي الوسطاء كما هي عند المتصوفة لا معنى لها إلا من حيث صلتها بالرياضات، أو هي رياضات يؤخذ بها إلى حين، فالوضوء حسب رأي علي عبد الجليل راضي "ما هو إلا رمز لشيء أعلى وهو غسل الجسم الروحي من الأدران أو القاذورات الروحية التي يتعرض لها كل يوم"[١].

وما التكاليف كما يراها إلا من بعض وسائل الرياضات اليوغية "فوضع الجلوس بالصلاة يشبه إلى حد ما الوضع المعروف عند الوغيين بوضع "اللوتس"ـ. وفي كتاب "أول فرعون" صورة لمصري قديم "كان كاهناً يدعى عبد الله وكأنه مسلم يصلي"[٢]، "أما وضع السجود فيمكن تشبيهه إلى حد ما بوضع الوقوف على الرأس عند اليوغيين حيث يقولون عنه: أن له تأثيراً على غدتين هامتين في الجسم"[٣]، أو للاتصال الروحي. "وحركات اليدين والأصابع أثناء صلاة المسلمين فهي ليست جديدة"[٤] على الوسطاء والكهنة.

والصوم هو الآخر لا غرض له إلا من باب الرياضات التي تهيئ الاتصال مع الأرواح، "فالصيام والاتصال الروحي – برأيه – متصلان

---

[١] ـ ص٢٩٤ نفسه
[٢] ـ ص٢٩٦ نفسه
[٣] ـ ص٢٩٧ نفسه
[٤] ـ ص٢٩٧ نفسه

ببعضهما تمام الاتصال، فكلما تخلص الإنسان من ماديته أصبحت روحه أكثر شفافية وقويت الحواس فوق الفيزيقية وأمكنه مخاطبة سكان عالم الروح على قدر مواهبه. فالصوم يعمل على جعل الجسم الأثيري للإنسان أقل انطباقاً على جسمه الفيزيقي وبذلك يكون الجسم الأثيري أكثر حرية وانطلاقاً في أعماق الأثير"[1].

وعن الحج يقول: "نرى المراسيم المادية التي يؤديها الحجاج "كالإحرام والطواف وإلى ما هنالك" ما هي إلا رموز لأشياء روحية"[2]. وبالطبع فإن من عرف المرموز سقط عنه الرمز والأخذ به.

الوسطاء إن قدر لهم الرقي في سلوكهم الروحي لا بد لهم من الكفر بكل ما يحيط بهم من عقائد وأفكار، ومن هذا الارتباط وبهذا القياس كما يقولون كفر محمد ﷺ بما حوله من عقائد، فالإنسان الذي يعد نفسه لاستقبال أي إلهام جديد من عالم الروح يجب عليه - كما يقول – أولاً أن يتخلى من الآراء القديمة والعقائد والعادات التي تربطه بدستور الحياة وعجلة التفكير التي تدور في محيط قومه، أي أن يجعل نفسه أولاً في حالة فراغ عقلي"[3]. وهذا قانون روحي لا بد منه، وهو نفسه قانون المتصوفة: "لا تحلي قبل التخلي"، وتلك كما يقولون سنة الأنبياء صلوات الله عليهم

---

[1] - ص١٠٣ نفسه

[2] - ص٣٠٥ نفسه

[3] - ص١٢ نفسه

أجمعين، ولو لم يكفروا بعقائد أقوامهم ما كان لهم تلك الرسالات وتلك العقائد المختلفة عن العقائد القديمة وهكذا دواليك، "ولن تجد لسنة الله تبديلا"!

- ملاحظة:

١ – إن معارضة السحرة والوسطاء للنبوة، مبني على المزاعم، ومزاعمهم لمن تأمل فيها لا تتعدى اللغو والشتائم وهي ساقطة اجتماعياً وخلقياً وعقلياً، ومع تصديق أنفسهم أنهم كمحمد ﷺ، وحيث لا اتباع لهم إلا الازدراء والمقت كان حسدهم له وحقدهم عليه.

٢ – الساحر والوسيط يعتبران المعجزات النبوية من جملة ما يحدث لهما من خوارق، والصوفي بزعمه وراثة الأنبياء، تفوق بمعجزاته على معجزات محمد ﷺ، بل وتفوق على معجزات كل الأنبياء، والحقيقة أن هؤلاء جميعاً قد أدركوا شبه المعجزات التي تفعلها الأرواح أو الجن أو الشياطين، ولو كان تفسيرهم للمعجزات لما بين أيديهم صحيحاً لكان لهم المجيء بمثيل للقرآن الذي هو المعجزة التي حيرت العرب وكل زمن قادم إلى يوم القيامة، ولو كان هذا للصوفي أو الغنوصي لما رأيناه اعتمد التأويل لقرآن النبوة لتبرير عقائده المختلفة اختلافاً كلياً عما يقوله القرآن والنبوة من عقائد وشرائع، وبعجزه هذا اكتفى مرغماً بالتشكيك والتحريف والتأويل لكتاب الله، وبقيت عقائده حتى الآن حبيسة أسراره لا تتعداها،

لأنه على علم بأنها أوهن من بيت العنكبوت في اختلافها مع العقل والفطرة البشرية.

٣ – إن المتأمل في هذه العجالة سيدرك بالطبع السمات المشتركة للمنهج الذي ضم تحت كنفه الشامان والساحر والوسيط مقارنة بالصوفي، كما يلي:

١ – الرياضات: الرياضات هي المبدأ ولا شيء دونها، فلا بد للساحر والصوفي من رياضات التركيز أو من الزهد والجوع والعتمة والخلوة وعدم النوم وإلى ما هنالك من دروب لها الفصل بين الروح والجسد، كما لا بد له من التقرب إلى الأرواح بما يرضيهم من خلال ترك كل ما هو مألوف ومعلوم لديه من العقائد، حيث لا تحلي بالخوارق والمعارف قبل التخلي عن كل ما يؤمن به من عقائد.

٢ – السماع: إن السماع الذي بنيته إنشاد ورقص وطبل ومزمار من الأمور التي لا بد منها للساحر والصوفي والوسيط، استجلاباً للأرواح أو الجن، ومن أجل هذا السماع وطبيعته والمقصود منه، فضل الغزالي الغناء على تلاوة القرآن في كتابه إحياء علوم الدين!

٣ – الفناء: الفناء ثمرة الرياضات أو هو المقصود الذي دونه لا وجود ولا اتصال مع الأرواح، بل ولا هيمنة للأرواح على جسد الصوفي والساحر إلا وهو المشروط بغياب الوعي حال الفناء التام.

٤ – الخوارق: الساحر ذو خوارق، وخوارقه سواء كانت معرفية أو مادية فهي عن قواه أو من فعل الأرواح التي لها بالهيمنة عليه استخدام جوارحه نطقاً وعملاً وإلى ما هنالك، أما الصوفي فقد نسب الهيمنة لا إلى الأرواح أو الجن، بل إلى الله حتى زعم الحلول به والاتحاد معه وإلى ما هنالك.

٥ – العصمة: الساحر أو الوسيط لا يزعم لنفسه العصمة أو الحفظ، بعكس الصوفي بل ويعترف بالأخطاء الناتجة عن الأرواح التي قد تكون جاهلة أو مغرورة أو مستهزئة أو كاذبة كما يفصح بعجزه عن معرفة الصادق منها وهذا ما لا يقوله الصوفي الذي أخطأ في الكثير من شؤونه المعرفية حتى على مستوى المعرفة بالطبيعة والجسد البشري.

٦ – الكتب: الساحر يزعم بأن كتبه ليست منه، وإنما هي من لدن الأرواح شأنه في ذلك كما يقول شأن الأنبياء، أما الصوفي فينسبها إلى الله أو إلى ملائكته لتصبح لا فرق بينها وبين القرآن أو ليصبح لا فرق بينه وبين الأنبياء.

٧ – الساحر يقول بالرمز والأسرار ولا فرق في هذا بينه وبين الصوفي الذي كتم حقيقة عقائده بالرموز والأسرار والتقية.

٨ – الساحر أو الوسيط يؤمن بحيوية الكون، كما يؤمن بأن للكواكب أرواحاً يجب التقرب إليها بشتى الحيل والعبادات، مما أدى به إلى الاعتقاد بوحدة الوجود التي هي سر الأسرار عند الصوفي.

٩ – الساحر يكره النبوة ويحقد عليها، حتى فسرها بأحواله، ابتداء من الرياضات انتهاء بتحصيل الملكات، ليحدَّها بالكسب الذي به زوال الفرق بينه وبين النبي، والصوفي أيضاً يحسد النبوة ويحقد على النبي لقوله بانقطاعها حتى زعم استمرار نبوة الولاية للأولياء وهو أيضاً على اتفاق مع الساحر والوسيط بأن النبوة كسب لا اصطفاء.

ومن هذا كله نرى أن المنهج الذي به يصبح أحدهم ساحراً هو نفسه الذي يصبح به عارفاً على حد تعبير أهل التصوف، وربما لوحدة المنهج بينهما كانت المساواة بين العارف والعراف!

## ـ التصوف بين السحر والوساطة:

كثيرون هم الذين بحثوا عن العلاقة التي تربط الصوفي بالسحر أو الوساطة، ومن كان له إدراك المنهج الواحد الذي بينهما جمع بينهما حتماً، والمسألة عندها وعلى الحقيقة ليست إلا اختلافاً في الاسم أو المصطلح، فابن عربي مثلاً "يقول عن الوساطة كما ندعوها الآن: أنها "الهمة" ويسميها بعضهم – كما يقول – "الصدق"-. كما أنه يستخدم كلمة ذوق أو كشف أو فتح إلخ ليعني بها تجربة الوساطة"[1] التي من جملتها الجلاء الشمي والجلاء البصري والإلهام وإلى ما هنالك.

وعن موهبة الجلاء البصري وفق مصطلح الوسطاء أيضاً يقول المتصوفة: "فلان صاحب نظر. وعن الجلاء السمعي يقولون: فلان صاحب سمع، وفلان صاحب طعم وصاحب نفس وأنفاس يعني الشم، وصاحب لمس"[2]، وهكذا إلى نهاية هذه المظاهر المشتركة بينهما.

أما بالنسبة للوسيط فلا يرى فرقاً بينه وبين الولي الصوفي إلا الوضوح الذي افتخر به على الأولياء، فهذا الإنسان الذي له تلك الصلة مع عالم الغيب يقول الوسيط يمكنك أن تسميه وسيطاً أو "ملهماً" أو "صوفياً" أو "قدسياً" أو "شيخاً" أو "ولياً"[3]، "فالمذهب الروحي – برأيه

[1] ـ ص٨١ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[2] ـ ص٨٨ نفسه
[3] ـ ص٥٥ في الإلهام والاختبار الصوفي

– لا يختلف عن الصوفي كثيراً"[1] إلا من حيث أن الصوفي دوماً يسعى لاستغلال الدين من أجل سهولة العيش أو تأمين الأتباع مصدر رزقه.

أما ابن خلدون فقد ميز بين الساحر والصوفي في توجه كل منهما فالأول يتجه إلى غير الله كالعوالم العلوية والحروف والطلسمات والقوى الشيطانية وإلى ما هنالك، والثاني يتجه إلى الله في سعيه لتحصيل الخوارق المعرفية والمادية، وربما كان هذا الرأي صحيحاً لو كان له تبرئة المتصوفة من العمل بالسحر، أو إن استطاع البرهنة على تمسك الصوفي بالفضائل الاجتماعية أو الخلقية الموجودة في كتاب الله والمأثور عن نبيه ﷺ.

أما الكنيسة فقد ميزت بين الساحر والقديس، أو الولي الصوفي بأن الساحر رجل غير متدين والولي رجل متدين"[2]. أي إن الفرق بينهما هو الفرق بين استغلال الدين وعدم استغلاله.

وهناك أيضاً فرقاً مقترحاً بين الساحر والصوفي وهو الفرق بين الحب والحقد، فالساحر حقود يكره البشر بعكس الصوفي الذي يهرب منهم! "ففي التصوف تحقيق إرادة المطلق، وفي السحر تحقيق إرادة المحدود"[3]، وإذا ما كان الشطح يعني "الأنا" أو المحدود فعندها "يتحول

[1] - ص١٨ حياة محمد الروحية
[2] - ص٦٧ فلسفة التصوف قدرات وطاقات
[3] - ص٣٥ نفسه

الصوفي إلى شطح ساحر، أو ساحر غير آبه بالمطلق"[1] أو بالله ليقول: "سبحاني أو أنا الله" وعندها لا فرق بينه وبين الوسطاء في أيامنا الذي هم بزعمهم "أنبياء من غير إله. إنهم متصوفة القرن العشرين اللامتدينين"[2] الذين ابتعدوا عن استغلال الدين، "فالروحيين يهتمون بالناحية العملية والعلنية ويفتحون أبوابهم لكل من يريد الاطلاع على أعمالهم، ويكتبون في صراحة نتائج أبحاثهم ويضعون أنفسهم في خدمة المجتمع، في حين أن الصوفية يعتمدون على العمل الفردي ويعتبرون ما يقومون به أسراراً ويتخاطبون برموز لا يفهمها سواهم، ويقحمون أنفسهم في النطاق الإلهي، ويتمادون في طرقهم الشاذة من جوع وسهر إلخ مما قد يؤدي بهم إلى الجذب والجنون واستخدام الألفاظ الجنسية النابية، ومع هذا كله فالبون بين الفريقين يعتبر من جهة أخرى ضئيلاً إذ أنهم جميعاً يستخدمون نفس المواهب الروحية"[3].

أما "كولن ولسن" فيقول: "أنه ليس هناك فرق أساسي بين التجارب الصوفية وبين التجارب التي تنتمي إلى عالم السحر أو علوم الغيب"[4]،

[1] - ص٥٩ نفسه
[2] - ص١٠٧ نفسه
[3] - ص٥ – ٦ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[4] - ص١٤٧ الإنسان وقواه الخفية

فالسحر يرتبط "ارتباطاً وثيقاً بالنزعة الصوفية"[1]، إذ "كلاهما – حسب رأيه - محاولة للوصول إلى التناغم مع القوة الداخلية للإنسان"[2].

ومن نظر في غاية المنهج الصوفي سيراه سيميائياً سحرياً يرمي إلى "تحويل الإنسان العادي إلى أشرف وأسمى وأنبل"[3] ليتجوهر على طبيعة ملائكية أو إلهية "والظاهر أن الكيمياء اليونانية التي تعتمد على الإكسير وتطمح إلى تحويل المعادن الخسيسة إلى شريفة هي الجسر المادي الذي استعان به الزهاد لتحويل النفس الأرضية إلى نفس سماوية"[4] ذات طبيعة غير بشرية.

ومن لم يجد فرقاً بين أخلاق الصوفي والساحر، خاصة إن أدرك الكرامات اللاخلقية لأولياء التصوف سيراهما سيان وما المسألة حينئذ إلى اختلافاً في الاسم إن لم تكن حيلة من الساحر الذي رأى أن كلمة ساحر بغيضة فأعطى لنفسه ألقاباً أخرى مقبولة ومحبوبة لدى الناس فادعى الولاية- وإلى ما هنالك"[5] من صفات العرفان والصلاح ليتقي شر بيئته التي تمقت السحر وتكرهه أو تحرِّمه.

---

[1] - ص١٧٤ نفسه
[2] - ص٢٣١ نفسه
[3] - ص٦٧ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[4] - ص١٨٧ الصلة بين التصوف والتشيع
[5] - ص١٠٩ السحر وتحضير الأرواح

## ـ الصوفي والتعامل بالسحر:

يرى الشعراني في بعض أقواله أن الأولياء الفاشلون يلجأون إلى السحر من أجل الشهرة والقبول بين الناس، فأحدهم حسب روايته "يتريَّض ويختلي ويتلو أسماء يستخدم بها الجان في صرف وجوه الخلق إليه دون غيره"[1]. فصراع الأولياء فيما بينهم إذن على سبل العيش قد يؤدي إلى استخدامهم السحر للاستعانة بالجان! وعبد القادر عطا الصوفي المعاصر يرى أن جهال الصوفية ما زالوا "إلى وقتنا هذا يحترفون نوعاً من السحر وكتابة التمائم"[2]. والنتيجة أن الفاشلون والجهال هم الذين يتعاملون بالسحر فقط!

والغريب أن الشعراني نفسه نراه عليماً بالسحر مؤمناً بقضاياه، وها هو يقول: إن "أرواح الكواكب السماوية تُنزَّل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك"[3]. وقوله هذا ليس إلا قول ساحر اعتقد أن "النجوم والكواكب هي كائنات حية تشيع فيها الحياة"[4] ولها عقل وإرادة، "والمنجمين – منذ القدم – قد اعتقدوا أن الأجرام السماوية هي آلهة قوية"[5]. والحقيقة إن

---

[1] ـ ص١٧٧ ج١ الأنوار القدسية
[2] ـ ص١٦٤ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس
[3] ـ ص٥٠ ج٢ م٣٩ اليواقيت والجواهر
[4] ـ ص٢١٥ السحر والتنجيم
[5] ـ ص٢٠٦ نفسه

الشياطين أو الأرواح كما يقول الوسطاء هي التي كانت تزعم لهم أمثال هذه المزاعم.

أما الصوفي المعاصر عبد القادر أيضاً فيقول: إن علم السحر "إذا تعلمه للاحتراز عنه فيجوز ذلك"[1]. ولكنه أحسن صنعاً حيث لم يستشهد بالحديث الموضوع الذي يقولون فيه: تعلموا السحر ولا تعملوا به.

ومن تأمل تاريخياً في نشأة التصوف أو الغنوص في البيئة الإسلامية، فسوف يرى أن مؤسسيه ذوي علاقة وطيدة بالسحر، والمسألة عندها مسألة منهج لا مسألة نجاح أو فشل، فالباحثون وجدوا ثلاثة أشخاص غنوصيون تسموا بالصوفية هم: "جابر بن حيان، وأبو هاشم الكوفي، وعبدك الصوفي"[2]. أما جابر بن حيان المتوفى حسب ابن أبي أصيبعة سنة ٢٠٨ هـ، اشتهر باسم كبير السحرة، وأبو هاشم الكوفي "سمي بالصوفي على وجه تسمية جابر بن حيان به، وهو من الغلاة المؤمنين بالحلول، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية وينقلون عن الصادق أنه قال فيه: أنه فاسد العقيدة. ابتدع مذهباً يقال له التصوف"[3] جعله مقر العقيدة الخبيثة، أما "عبدك الصوفي" المتوفى سنة ٢١٠ هـ "يخبرنا

[1] - ص١١٠ حقائق عن التصوف
[2] - ص٢٦٥ ــ ٢٦٦ الصلة بين التصوف والتشيع
[3] - ص٢٧٠ نفسه

الملطي أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة"[1]، أما "زيعور" فيقول: "لا يفهم التصوف ولا سيما مظهره الاجتماعي المتمثل بالكرامات دون أخذه على خلفية هي مجموع علوم السحر والنجوم والأحرف والنيرنجات"[2]. ولكن من المؤكد على كل حال أن المتصوفة اعتبروا السحر من جملة علومهم المقدسة، بل وجعلوا أصله مقدساً، حيث يرجع الصوفية "أصل هذا العلم إلى الخضر صاحب موسى"[3]، ونظراً لنفوذ الأولياء اجتماعياً وخاصة بين الجهلة والسذج "ازداد اعتقاد الناس في الخرافات والسحر، وقصدوا المشعوذين لحل مشكلاتهم. كما قصدوا الأضرحة لهذا السبب، ولهذا كثر مؤلفو السحر ومدعوه"[4] في البيئة الصوفية.

إن من يلمس علاقة المتصوفة التي لا حد لها ولا حصر مع الجن، يصعب عليه أن يبرئهم من التعامل بالسحر، وها هو الجني الذي تجسَّد على شكل أفعى لامتحان الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي قال بعدها: "وسألني أن يتوب على يدي فتوَّبته"[5]، والشيخ شمس الدين الحنفي الذي استخدم الكرامة في قتل أعدائه أو في جعلهم مقعدين "كان رضي الله عنه يقرئ الجان على مذهب الإمام أبي حنيفة"[6]، وقد كان له أصحاب من

[1] - ص٢٧١ نفسه
[2] - ص٦٦ – ٦٧ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[3] - ص٤٢ – ٤٣ الصوفية في نظر الإسلام
[4] - ص٦٤ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس
[5] - ص١٢٩ ج١ الطبقات الكبرى
[6] - ص٩٥ ج٢ نفسه

الجن بينه وبينهم المواثيق والمعاهدات أو "الخوَّة" والجني نفسه كما يروي المتصوفة يقول عن علاقته بالشيخ شمس: "وقد أخذ علينا العهد أن لا نضر أحداً من أولاده إلى سابع بطن"[1]. وما أكثر علاقة الشعراني أيضاً بالجن، وما أكثر أحاديثه عن المرأة الجنية التي تسكن بيته، بل وكان يطعم الجان سنين القحط والغلاء، وذكر لنا أيضاً أحاديث كثيرة عن الجني الذي يأتيه على هيئة جدي وكثيراً من الجان كانوا يداعبونه فيطفئون له السراج وغير ذلك كثير، إلا أن الرجل فيما ذكره ذا شجون، فقد قال في "لطائف المنن": "إنما ذكرت لك ذلك لتعلم أن من قرأ الأوراد الواردة في عمل اليوم والليلة فليس للجن ولا للإنس عليه سبيل"[2].

أما الشيخ علي الخواص البرلسي، فيعترف بأخذه العلم عن الجان قائلاً: "وقد يأمر الله تعالى الجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فنراهم رأي العين- وحصول العلم لنا من كلامهم إنما هو نطقهم بمثال حروفنا"[3]، والشيخ الدباغ يقول عن المتصوفة أو الأولياء وهو منهم: أنهم يستعينون "بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها"[4]، إلا أن الشعراني يعود فيقول: لقد "استعمل النصَّابون – من الصوفية –

---

[1] - ص٩٧ ج٢ نفسه
[2] - ص٢٦٠ ج١ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق
[3] - ص١٢٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[4] - ص١٧ ج٢ الإبريز

الرياضات لاستخدام الجان ليخبروهم بالمغيبات"[١]، و"زيعور" الذي لا حماس ديني له يقول: "لم تكن قصة الجني أبداً بهذا المعنى ولا بهذه الوظيفة في القرآن. لقد وضعت هنا "أي في التصوف" في خدمة الإنسان بينما هي غير ذلك في الدين"[٢].

معاشرة الجن وإبرام المواثيق معهم ومساعدتهم فيما يحتاجون إليه واستخدامهم في تحقيق ما يريده الصوفي من أغراض خارقة أو سوى ذلك، كل ذلك لا يبتعد كثيراً عما يعنيه السحرة عندما يصرِّحون عن علاقاتهم الطيبة مع الجان، ومن احتج بالمؤمنين والكفرة من الجن فسوف لن تكون بين يديه بالطبع أية سابقة في الصدر الأول ولا بما يليه.

الصوفي الذي استوى بتوحيده الخير والشر ليس غريباً أن يقر بعلاقته حتى مع إبليس وقد اعترف الشيخ سهل التستري بأن إبليس كان شيخه في الوصول إلى توحيد لا معبود إلا الله، وكان يقول أيضاً: "أن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم"[٣].

ولقد مرَّ معنا أيضاً ارتباط أصل التصوف بالسحر من خلال جابر بن حيان الذي كان معروفاً حسب ابن النديم في "الفهرست" "بكبير

---

[١] - ص١٢٥ ج١ الطبقات الكبرى
[٢] - ص١٢٦ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[٣] - ص١٦٧ تلبيس إبليس

السحرة في هذه الملة"[1]، والساحر هذا "كان يدعى جابر الصوفي"[2]، والشيخ الصوفي ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥ هـ "كان على حد قول عبد الرحمن جامي أول من تكلم في الأحوال والمقامات. وهو أول صوفي إسلامي تكلم في المعرفة. وأول من اعتبر المعرفة بالله الغاية القصوى من الطريق الصوفي"[3]، ولكنه كما يقول "القفطي" كان من طبقة جابر بن حيان"[4]، "وكان كثير الملازمة لبربا "بلدة أخميم". ويقال أنه فُتح عليه علم ما فيها"[5] من السحر وعلومه، والمسعودي يقول أن ذو النون "كان حكيماً سلك طريقاً خاصاً واتخذ الدين سيرة خاصة، وكان من المعنيين بحل رموز البرابي في أخمين. وأنه وُفِّق إلى حل كثير من الصور والنقوش المرسومة عليها"[6] إذ "كان الاعتقاد بأن الكتابات الهيروغليفية المنقوشة على الآثار المصرية تحتوي على علوم الأسرار التي عُرفت أول ما عُرفت عن أهل بابل، أعني علوم الكيمياء والتنجيم والسحر"[7]، فقد كان ذو النون المصري باحثاً عن علوم الأسرار يسعى لحل "رموز سحرة فرعون المنقوشة على جدران المعابد"[8] وفُتح له منها

[1] - ص٣٦٢ الصلة بين التصوف والتشيع
[2] - ص١١ دراسات في التصوف الإسلامي
[3] - ص٩٢ التصوف الثورة الروحية في الإسلام
[4] - ص٣٦١ الصلة بين التصوف والتشيع
[5] - ص٩ في التصوف الإسلامي وتاريخه
[6] - ص١٠ نفسه
[7] - ص١٠ نفسه
[8] - ص١٠٩ الصوفية في نظر الإسلام

الشيء الكثير واشتغل بها "ومزجها بالتصوف"[1]، وكان شأنه شأن السحرة في استخدامه للبخور، وقد روى القشيري أن "أحمد بن محمد السلمي قال: دخلت على ذو النون المصري يوماً، فرأيت بين يديه طسطاً من ذهب وحوله الند والعنبر يسحر. فقال لي: أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم، ثم أعطاني درهماً فأنفقت منه إلى بلخ"[2]، ومما يثبت اشتغاله بالسحر كذلك كتاب عُثر عليه أخيراً "موجود الآن بمكتبة باريس اسمه "المجربات" وهو من مؤلفات ذي النون يحتوي على إرشادات طبية وتجارب كيماوية وتمائم سحرية، وطلاسم وعزائم"[3].

ولما كان الساحر يستخدم الطلسمات وبها يُعرف فقد زعم ذي النون إخفاء لطلسماته التي لها التأثير بالكلمات، أنه تعرَّف على اسم الله الأعظم من أحد رجال الغيب عندما كان في سياحاته بالبادية، ولما دعا به ذات مرة وإذ بالخضر حاضر بين يديه ينتظر الأمر منه، والحقيقة أنه "كان زاهداً متقلداً سحر الطلسمات"[4].

---

[1] - ص٩٢ التصوف الثورة الروحية في الإسلام

[2] - ص١٦٤ ــ ١٦٥ الرسالة القشيرية

[3] - ص١١٠ الصوفية في نظر الإسلام

[4] - ص١٢ في التصوف الإسلامي وتاريخه

## ـ الحلاج والسحر:

أما بالنسبة للحلاج المصلوب سنة ٣٠٩ هـ، فقد كان ساحراً متصوفاً بشهادة الجميع، سواء من حساده وأعدائه أو الذين عاشروه وتعرفوا أسراره، ولتعلم السحر قام برحلة كبيرة في بلاد كفار الهند ومانوية وبوذية التركستان. وذهب من ملقان إلى كشمير"[١] لهذا الغرض، وصاحب تاريخ بغداد يقول: "سمعت علي بن أحمد الحاسن قال: سمعت والدي يقول: وجهني المعتضد إلى الهند لأمور أتعرفها ليقف عليها، وكان معي بالسفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور الحلاج، وكان حسن العشرة طيب الصحبة، فلما خرجنا من المركب ونحن على الساحل والحمالون ينقلون الثياب من المركب إلى الشط، فقلت: إيش جئت إلى هناك؟ قال: جئت لأتعلم السحر، وأدعو الخلق إلى الله تعالى"[٢]، وقد اشتهر عن الحلاج أنه "يحيي الموتى وأن الجن يخدمونه ويحضرون ما يختار ويشتهيه وأظهر أنه أحيا عدة من الطير، وكان ذلك بمعرفة اسم الله الأعظم، كما روى الرفاعي ورووا عنه أنه كان ممارساً للسحر والنيرنجات. وقال ابن النديم: وكان رجلاً محتالاً مشعبذاً يتعاطى مذاهب الصوفية. ونسبه الجنيد صراحة إلى السحر والنيرنج والشعبذة"[٣] حيث "قال أحمد بن يونس: كنا في ضيافة بغداد فأطال الجنيد اللسان على

---

[١] ـ ص٦٨ شخصيات قلقة في الإسلام

[٢] ـ ص١٨٥ الحلاج شهيد التصوف الإسلامي

[٣] ـ ص٣٧٤ الصلة بين التصوف والتشيع

الحلاج ونسبه إلى السحر والشعوذة والنيرنج وكان غاصاً بالمشايخ، فلم يتكلم أحد احتراماً للجنيد. فقال ابن خفيف: يا شيخ لا تطول، ليس إجابة الدعاء والإخبار عن الأسرار من النيرنجات والشعوذة والسحر، فاتفق القوم على تصديق ابن خفيف"[1]. وهكذا ينجو السحر بحيلة الدعاء وفق اتفاق المشايخ.

وأبو علي الجبائي المعتزلي أيضاً اتهمه وكذلك روى الفقيه ابن الجوزي أن أبا يعقوب الأقطع زوَّج ابنته للحلاج، وبعدها قال: "زوجت ابنتي من الحسين ابن منصور الحلاج لما رأيت من حسن طريقته، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر"[2].

ولكن السحر والتصوف منهج لا اتهامات يتبادلها الخصوم فحسب، فالطريق واحد والثمرات هي نفسها عند الصوفي والساحر، والدباغ يقول: "أول ما يُفتح على العبد: يرى معاصي العباد وأسبابها وكيف يقعون فيها. فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شراً ركن عقله إليها. وهو مخيم الشياطين. فيصير مشهده ومشهد الشياطين واحداً، فيصيرون معه يداً بيد، فيسخِّر على يده السحر ويرجع من جملة السحرة.

[1] - ص٩٣ الحلاج شهيد التصوف الإسلامي
[2] - ص٢٧٣ دراسات في التصوف الإسلامي

وإذا أراد الله بصاحب الفتح خيراً: فتح عليه ما يشغل فكره عما سبق- إن في الفتح أموراً إذا شاهدها المفتوح عليه قبل أن تطيب ذاته وتصل، ففي ساعته يرجع بها نصرانياً"[١] أو يهودياً"[٢].

فمن رأى معاصي العباد إذن أو كشفت له المعاصي فهو ساحر، ومن رأى الأديان سواء فهو من السحرة وكل صوفي لا بد ساحر ولا كل ساحر حسب الدباغ سيصل. والحلاج نادى بوحدة العقائد ونادى بالحلول والاتحاد وكان له الكثير من الشطحيات، واعترف بتعامله مع الجن حتى أنه دافع عن إبليس ونعته بالفتى، وما ذلك كله إلا من سمات السحرة إلا أن العقائد هذه هي التي ميزت الواصلين في الفكر الصوفي عن سواهم من المبتدئين لا العكس وهذا ما سوف نراه فيما بعد إن شاء الله.

---

[١] - ص٣٠٢ ج٢ الإبريز

[٢] - ص٣٠٣ نفسه

**- الغزالي والسحر:**

حجة الإسلام الغزالي، صاحب كتاب إحياء علوم الدين الصوفي برأي ابن طاووس "من أشهر وأسبق القائلين بصحة أحكام النجوم"[١]، والكتب السرية التي تتعلق "بالسحر والطلاسم والخرافة كان للغزالي نصيب كبير في الاشتغال بهذه الكتب"[٢]، وفي رسالته اللدنية مثلاً يعتبر أن "فروع العلم العقلي هي علم الطلسمات والنيرنجات وما يتعلق بها"[٣]، والسحر بالوصف العام حسب رأيه "من جنس العلوم"[٤].

أما من حيث ماهيته فهو رياضات وسلوك وتعامل مع الكائنات الأخرى.

السحر من جنس العلوم وإن كان منه ضرر، ففي العلوم ما يضر مثل العمل بالسحر والكهانة"[٥]، وكل السحرة أيضاً قد قالوا بالأخطار المضرة بالساحر إن كانت عن الرياضات أو التعامل مع الكائنات أو عن أخطاء في تلاوة الطلسمات والتركيبات.

السحر برأي الغزالي تعامل مع الجن والشياطين عن طريق المناسبة أو الانسجام، حتى الانسجام في العقائد "فلكل إنسان جني يشاكله

---

[١] - ص٧٣ الفيلسوف الغزالي
[٢] - ص١٤٢ نفسه
[٣] - ص١١١ ج١ الرسالة اللدنية
[٤] - ص٣١ المقصد الأسنى
[٥] - ص١٠٩ سر العالمين

ويعاونه أو شيطان يغويه ويضله. وكل من تكون مناسبة الأرواح المفارقة للأبدان إلى روحه أكثر حدث به من تلك الاتصالات أنواع من الأخلاق فيكون عرافاً كاهناً أو صاحب تنجيم أو غير ذلك"[١]، والرياضات هي التي لها اكتساب المناسبة والانسجام بين الإنسان والشياطين التي تزعم أنها أرواح الكواكب وإلى ما هنالك.

الغزالي يعلم السحر ويولِّد الطلسمات ويشرح فوائدها قائلاً: "فإذا أردت أن تولد طلسماً يصلح لما تريد فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد. فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب فإنها تكف خاصيتها عنك أذى النساء، ترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع، وترش من مائه على سطح المبغض أو طريقه أو داره فإنه يستضر من سنة، وخذ صورة أسد والقمر في الأسد وانقشه على خاتم بسواد ومعه كلمة وهي: آتينا طائعين. فتدخل به إلى الملك فيذله الله لك"[٢].

فحجة الإسلام يضر أعدائه بالسحر، وبالسحر يكون له الجاه والسلطان عند الملوك والأمراء، وليس هذا فحسب فهذه كما يقول "كلمات تفرِّق بها بين جماعة فاسدة تخافهم. تأخذ أفراداً من شعير حزام وتقول عليه أربع مرات هاطاش ماطاش هاطاشنا. وكثير مثل هذا شرحناها في

[١] - ص٧٦، ٦٧ المظنون به على غير أهله. هامش الإنسان الكامل
[٢] - ص٦٥ – ٦٦ سر العالمين

كتاب عين الحياة"[1]. فللرجل كتب كثيرة في السحر، منها كتاب عين الحياة الذي نوَّه بالرجوع إليه لمن أراد المزيد!!

الغزالي يزرع بذور الخروع في جثة سنور أسود ليستخدم ثمره في الاختفاء عن أعين الناس أو لتحصيل الكرامات قائلاً: "من أراد أن لا يبصره ولا تراه العيون فليزرع الخروع عند بدو زراعة القطن. ثم يقطف العنقود. ويأخذ مرآة بيده ثم يقطف منه حبة حبة ويضعها في فمه وينظر صورته في المرآة فأي حبة لم يشاهد فيها نفسه عند نظر المرآة فليمسك عليها"[2].

ولن يتوانى الغزالي عن شرح السحر الأسود الذي فيه التوجه إلى غير الله قائلاً: "تقف أول ساعة من يوم السبت مستقبل الغرب بثياب سوداء والزرق بأبخرة، ثم تقول: أيها السلطان الأعظم والملك العرمرم. زحل أنت أشرف الكواكب. أسألك أن تعطيني وأن تمنحني ما يصلك منك لي. وتقول يوم الأحد عند طلوع الشمس وأنت مستقبلها بهمة مصروفة إليها: أيتها السيدة الرفيعة والملائكة المطيعة."[3] فهكذا كما يزعم كانت عزائم الأنبياء، حيث كان لكل منهم يوماً في هذه التوجهات

[1] - ص٦٦ نفسه
[2] - ص٧١ نفسه
[3] - ص٧٣ نفسه

"وأما يوم الجمعة فهو لمحمد ﷺ"[1]، بل ويرى أن التوجه للكعبة عند الصلاة من جنس توجهات السحرة، ففيه موافقة المنجمين "وقد ذكر الجمهور منهم – كما يقول – أن طالع رسول الله ﷺ تولاه الزهرة وهم لم يطلعوا على الأسرار، ونحن نكشف نبذاً من ذلك فنقول: بأن موسى دعا إلى المغرب لتحكُّم زحل في تلك الجهة، وقبلة عيسى إلى المشرق نحو الشمس، وقبلة نبينا إلى جهة الكعبة. وهذا سر لم يطلع عليه أحد إلا من شاء الله وذلك أنه إذا قام مستقبل القبلة الحرام كان سهم زحل يميناً وسهم الشمس شمالاً والجدي في مقابلة وسط الكتفين والنسر الطائر وسعد بلع من جهة العلوية فتم من السعادة ما تم فأصيب بسهم السعادة ما لم يصبه أحد سواه فبلغت حجته وعلت كلمته ودامت دولته وسعدت أمته وعضدت شريعته"[2].

فالأنبياء برأيه من كبار أصحاب البخورات من السحرة، ومن كبار المنجمين أصحاب النجوم، وفي ذلك يقول: "وقد ينزل من السماء بأرض سقسين حنطة حمراء لينة باردة على طعم الزبد والعسل والثلج- إذا بخر بعضها تحت أحد أبصر الملائكة، وبه يبخر لعطارد فيكلمه. وقد قويت عزائم المنجمين بأن الأنبياء بخَّروا، فالكليم بخَّر لزحل أول ساعة يوم السبت، والمسيح بخَّر للمشتري، وابراهيم بخَّر يوم الأحد للشمس وللمريخ

[1] - ص٧٥ نفسه
[2] - ص٤٥ سر العالمين

يوم الثلاثاء، وقد بخَّر زرادشت للمريخ وعطارد، وقد بخَّر محمد رسولنا للزهرة يوم الجمعة، واختفى في غار حراء، فكانت تأتيه "الزهرة" في صورة جبرائيلية وهو تمثال لدحية الكلبي.

ومن أراد أن يبصر الجن مشاهدة ومصادقة ومخاطبة ويسمع كلامهم ويعينونه على ما يريد فليقرأ سورة الجن في بيت خال- وبين يديه بخور اللبان ويخط له مندلاً يقعد فيه ولا ينقطع عنه البخور وهو يقرأ قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن أربعين مرة، وهو يمثلهم ويتحدث إليهم، فإذا خرجوا إليه لا يخافهم ويستخدم منهم من شاء على ما يشاء من سحر وطلسم وهياج وتسخير وإظهار كنوز وحب وتبغيض"[1]. ومما هو جدير بالذكر أنه لما استهجن الغزالي علوم السحرة عند روايته لكفرياتهم، لم ينكر عليهم إلا بما تعنيه العلوم المهلكة لا من حيث تعارض هذه العلوم مع الشريعة الإسلامية.

والغزالي وفق ما سبق ليس إلا ساحراً تضلَّع بأسرار السحرة والمنجمين حتى دعا إلى التوجه للكواكب أو أرواحها تبعاً لسنة الأنبياء بزعمه، كما دعا إلى الاستعانة بالجن قهراً للأعداء وجلباً للمنافع وصنع الطلاسم، كما استخدم البخور وما ذلك كله إلا من ماهية السحر، وهكذا

---

[1] - ص٧٠ – ٧١ نفسه

كانت خديعة ابن خلدون الذي استخدم التوجه تمييزاً بين الصوفي والساحر.

**ـ السحر وبعض الأولياء:**

الشيخ أحمد الرفاعي حسب رواية أصحابه هو أعظم شأناً من سليمان عليه السلام فقد "سُخِّر له الجن والعفاريت والمردة وعلَّمه الله جميع لغاتهم"[١]. وكان له من استخدامهم درجة يحسده عليها حتى أعظم السحرة.

أما الشيخ عبد الكريم الجيلي، فنراه "يكتب أول مؤلفاته "المسمى الكهف والرقيم" على طريقة علماء الحرف. كما يتحدث في "حقيقة الحقائق" باستفاضة عن حساب الجُمَّل"[٢]، وعن "أسرار الرقم الهندي"[٣]، وعن علم الفلك الذي كان مختلطاً بالكثير من التنجيم والتنبؤات وإقحام علم الحروف والأرقام"[٤]، وكان يزعم تسخير الملائكة لتحقيق أغراضه، ومن تعازيمه في ذلك: "انزلوا يا ملائكة ربي احضروا فربما كان جمعنا أكمل من جمعكم"[٥].

والسحر يعود بمصدره حسب رأيه إلى "لوح القوى" وهو من جملة الألواح التي أنزلت على موسى عليه السلام، وفي ذلك يقول: "ومن جملة هذا اللوح علم السيمياء وكيفية السحر العالي **وهو الذي يشبه الكرامات،**

---

[١] ـ ص٤٤٠ قلادة الجواهر
[٢] ـ ص٢٦ الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي
[٣] ـ ص٢٧ نفسه
[٤] ـ ص٢٧ نفسه
[٥] ـ ص١١٣ قلادة الجواهر

وقولي السحر العالي لأنه بلا أدوية ولا عمل ولا تلفظ بشيء بل بمجرد **قوى سحرية في الإنسان** تجري الأمور على حسب ما اقتضاه الساحر فتبرز الصور التي لا تمكن إلا الخيال محسوسة مشهودة في الحس، وقد يدخل بصر الناظرين إلى خيال نفسه فيصور ما يشاء فيرونه بأبصارهم ولكن في خياله ويظنون أنه في عالم الحس، **وقد وقعت على ذلك في طريق التوحيد** فكنت لو شئت أتصور بأي صورة في الوجود تصورت بها ولو أردت فعل أي فعل فعلت"[١]. والسحر ليس عن ألواح الساحر موسى فحسب فهو أيضاً عن تجليات قدرته سبحانه وتعالى، وعند حديثه عن تجلي القدرة يقول: "ومن هذا التجلي تصرفات أهل الهمم- ومن هذا التجلي السحر العالي- ومن هذا التجلي المشي على الماء والطيران في الهواء- فلا تعجب يا أخي إنما الجميع نوع واحد اختلف باختلاف وجوهه فسعد به السعيد وشقي به الطريد. فالصوفي والساحر إذن بمصدر خوارقهما سواء إلا أن الأول سعيد والآخر شقي ولكل امرئ ما نوى.

الشيخ عبد الكريم هذا يعترف بأنه تعامل بالسحر الأحمر أيضاً، بل وشارك الشيطان في سبله حتى أنه عرج إليه برياضاته، وعندما خشي على نفسه من الهلاك تركه، وفي ذلك يقول: "السحر الأحمر المودع في الخيال والتصوير والمستور في الحق بحجب الباطل والتزوير هو معراج

---

[١] - ص٧١ ج١ بـ٣٦ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

الخسران وصراط الشيطان إلى مستوى الخذلان. ولقد كنت غرقت في هذا البحر الغزير وكاد يهلكني موجه في قعره الخطير"[1] فتركته. والملحوظ أن سعيه للسحر وتركه إياه لم يكن عن التزام بنواهي وأوامر الشرع وإنما عن تجربته، إلا أنه على كل حال قد أفصح بجرأة عن ارتباط رياضات الصوفي بالسحر كما تجرأ بالمقابل على الدين بنسبة السحر إلى الأنبياء والتجليات الإلهية.

الشيخ عبد الغني النابلسي كان ولوعاً بعلم الحروف والطلسمات وإلى ما هنالك، ومن طريف ما يروى عن تطيره وعلمه بالحروف أنه "في طريقه إلى الحج سار من طريق، فوجد أمامه حبلاً ملقى على الأرض على هيئة الحرف "لا" فرجع من هذا الطريق، ولما سألوه عن سبب رجوعه أشار إلى الحبل وقال: أما ترون الله يقول لي: "لا تمش من هذا الطريق"[2]. ولكن الصوفي لم يقف عند هذا الحد في علاقته مع الحروف، فالنابلسي مثلاً له باع طويل بالتعامل مع الحروف والطلسمات، وله كتب كثيرة في هذا الباب، وعزيمة حرف الصاد أو العزيمة التي لها تسخير روح هذا الحرف كما يقول هي: "صدق صدق صدق، صفا

[1] - ص٢٤ ج٢ بـ٥٦ نفسه
[2] - ص٩٦ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس. عن الورد الأسنى

وكدر، صفا وكدر، صفا وكدر. صاد صاد صاد. ص ص ص. برز مصطفى من الإختفا، وبه الإكتفا، م واسعة، دائرة شاسعة، تدور كالرحا، فيحل الإنمحا، صه صه صه صه"[1].

والشيخ "شهاب الدين السهروردي كان يسحر "بطريقة علم السيمياء": حوَّل الضفدعة خنزيراً، وأسقط هذا السهروردي رأسه وبقي الرأس يقول للأوزاع: يا أبا عمر."[2]، وله أحاديث كثيرة في مؤلفاته تحكي كيفية التوجه للأفلاك بالأدعية والصلوات والبخور وإلى ما هنالك.

السحر من جملة العلوم برأي المتصوفة ولكنه عند الشيخ ابن سبعين من العلوم الأدبية حيث يقول: إن "أنواع العلوم الأدبية كثيرة منها: علم الكتابة وعلم اللغة. وعلم الرجز والفأل والتواريخ والسحر والعزائم والحيل"[3]، وابن كثير "يذكر أيضاً أن ابن سبعين كان يعرف السيميا، وأنه كان يلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء. ويذكر البسطامي أن لابن سبعين في علم الحروف والأسماء اليد الطولى وأنه ألف فيه كتاب "الحروف الوصفية في الصور الفلكية" وشرح كتاب إدريس. ويزعم "ابن سبعين" لنفسه القدرة على التصرف في الأكوان بهذا العلم، كما

---

[1] - ص١٢٧ نفسه
[2] - ص٦٧ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[3] - ص١٢١ بد العارف

يزعم التنبؤ بالغيب شأنه في ذلك شأن ابن عربي وغيره"[1] من المتصوفة، ومن ولعه الشديد بعلم الحروف وثقته به كان يقول عن نفسه أنه "ابن ٥ أو ابن داره" حيث كانت الداره في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعين، لذلك كان ما يكتبه ابن سبعين عن نفسه من "ابن ٥" مساوياً لابن سبعين"[2]، وفي الرسالة التي سماها الرسالة النورية نجد كلاماً لابن سبعين في ارتباط الذكر بالسحر"[3]، "وقد نسب إلى ابن سبعين إبان إقامته بمكة الاشتغال بعلم السيمياء، وإظهاره أشياء غريبة خارقة، فقد روى الفاسي في العقد الثمين بعض روايات عن هذا، فمنها قوله: ووقع لابن سبعين أشياء منها على ما بلغني أنه خرج بأبي نمى صاحب مكة في بعض الليالي إلى بعض الأودية ظاهر مكة فأراه خيلاً ورجلاً ملأت الوادي، فهال ذلك أبا نمى، وعظم ابن سبعين في عينيه. ومنها قوله: "وبلغني أنه كان يأخذ الورق ويقصه على صفة الدراهم المسعودية ويشتري به حوائجه وتمشي على الباعة. ومنها قوله: وبلغني أنه اشترى بشيء من ذلك شاة من بعض الأعراب وهو متوجه في جماعة من أصحابه إلى جبل حراء، فذهب البائع ليقضي بذلك بعض ضروراته، فوجده ورقاً، فعاد إليه مطالباً بالثمن، فأشار إليه الحاضرون إلى أن ابن سبعين هو الذي اشترى منه، وأمروا بمطالبته وإيقاظه وكان ابن سبعين

[1] - ص٨٤ – ٨٥ ابن سبعين وفلسفته الصوفية
[2] - ص٢٨ – ٢٩ بد العارف
[3] - ص٨٣ ابن سبعين وفلسفته الصوفية

مستلقياً نائماً على قفاه فجذب البائع بعض أعضائه فخرج العضو وصار في يد البائع فاستهال مما رأى وهرب، وذهب بخفي حنين"[1].

---

[1] - ص٥٦ – ٥٧ ابن سبعين وفلسفته الصوفية

## - ابن عربي والسحر:

مما لا شك فيه "أن المتصوفة عامة وابن عربي خاصة، قد أفادوا من جهود- أهل السحر والطلسمات خاصة ما يرتبط بفهمهم لتأثير الحروف في عالم الطبيعة وفي الأفلاك بناء على القوة العددية الخاصة للحروف"[1]، ومن نظر في مؤلفات ابن عربي سيراه "متضلعاً في علوم السحر- التي يبدو ولعه بها في كل كتبه"[2]، وشيوخه في السحر كثر، وليس التستري هو الشيخ الأوحد له "بل هو يشير فيما يرتبط بقضية الحروف إلى أسماء كثيرة مثل: جعفر الصادق وجابر بن حيان والحكيم الترمذي وابن مسرَّة، وأبي القاسم بن قصي صاحب كتاب خلع النعلين، والحلاج"[3]، بل أنه تجاوز حدود التراث الإسلامي لينسب علم الحروف إلى عيسى بن مريم، ويسميه العلم العيسوي، كما يسميه – نقلاً عن الحكيم الترمذي – علم الأولياء"[4]، وكذلك تجاوز حدود الأنبياء عندما صرح بأنه من القارئين لكتاب "الفلاحة النبطية"[5]. فالرجل إذن ذا ولع عظيم بالسحر، حتى رأيناه أخيراً وقد هبَّ ثائراً بلا لبس ولا مواربة لا كغيره من المتصوفة الذين استتروا بخمار الحياء أو الجبن، ليعلن صراحة مساواة الساحر بالولي الصوفي قائلاً:

[1] - ص٢٩٨ فلسفة التأويل
[2] - ص٤١ ابن عربي حياته ومذهبه
[3] - ص٢٩٩ – ٣٠٠ فلسفة التأويل
[4] - ص٣٠٠ نفسه
[5] - ص١٣٥ ج٣ بـ٣٥٥ الفتوحات المكية

*"فوقتاً أسمى راعي الظبي بالفلا ووقتاً أسمى راهباً ومنجما"* [1]

ولكن ما مبرراته حتى نعت نفسه بالسحر والتنجيم؟ ولهذا بالطبع سينعت الأنبياء بالسحر، بل ولهذا أيضاً نعت به جبريل عليه السلام، كما اتهم نساء الرسول ﷺ بالتعامل بالسحر أو هن برأيه ساحرات، وإن اضطره الأمر فسوف ينتصر للساحر على النبوة، وسوف نراه في نهاية المطاف وقد ساوى بين إبليس ومحمد والساحر وفق مصطلح الرسالة وهذا حقاً ما سوف نراه.

- **مصادر السحر برأي ابن عربي:** للسلوك الصوفي كما هو معلوم مقامات ومنازل، وفي مقام سجود القيومية وجد ابن عربي أن "فيه علم - السيمياء"[2]، وفي منزل النور أدرك "علم صورة تسليط الجن على الإنس والإنس على الجن"[3]، وعندما تكلم عن معراجه ذكر أنه عند وصوله إلى السماء الثانية حصل له "الفرقان في مرتبة خرق العوائد، ومن هذه الحضرة يعلم – السالك – علم السيمياء الموقوفة على العمل بالحروف والأسماء – لا على البخورات والدماء وغيرها – ويعرف شرف الكلمات وجوامع الكلم وحقيقة كن -. ومن هنا توهب الأحوال لأصحابها وكل ما

---

[1] - ص١٢٩ ج٣ بـ٣٣٤ نفسه
[2] - ص٤٨٧ ج٣ بـ٣٧٧ نفسه
[3] - ص١٩٢ ج٣ بـ٣٤٦ نفسه

ظهر في العالم العنصري من النيرنجات الأسمائية فمن هذه السماء، وأما الفلقطيرات- فأرواحها – هي الأخرى – من هذه السماء"[1] أي السماء الثانية، وبمعراجه هذا رأى أيضاً "تحول الصور الحسية في الصور الجسمية كما يتشكل الروحانيون في الصور- حتى أعطيتُ القوة عليها فتحولت"[2]، وكذلك عرف كيفية تجسد الجان"[3]، وعندما فتحت له خزائن العلوم وجد العلوم المهلكة أو السحر من جملتها "فرأيت علوماً مهلكة- فرأيت منها ما يؤدي صاحبها إلى الهلاك الدائم، ورأيت منها ما يؤدي صاحبه إلى هلاك ثم ينجو، غير أنه ليس لنور الشرع فيها أثر- فيها من علوم البراهمة كثير، ومن علوم السحر وغير ذلك، فحصلتُ جميع ما فيها من العلوم لنتجنبها وهي أسرار لا يمكن إظهارها وتسمى علوم السر"[4]، وكان له أيضاً تحصيل علوم السامري الذي اتخذ العجل إلهاً له، وفي ذلك يقول: "فإذا صور العلوم التي أضل بها السامر قومه وما هدى فحصلتها لأتقي شرها"[5]، وعن علمه الذي فاق به علم الخضر يقول: "هذا هو العلم الذي يقال سحر مستمر"[6].

---

[1] - ص٢٧٤ ج٢ بـ١٦٧ نفسه
[2] - ص٦٢٠ ج٢ بـ٢٨٣ نفسه
[3] - ص٦٢١ نفسه
[4] - ص٥٨٢ ج٢ بـ٢٧٣ نفسه
[5] - ص٥٨٥ ج٢ بـ٢٧٣ نفسه
[6] - ص١٠٨ ج٢ بـ٧٣ نفسه

الساحر هو الأعظم ولولا حقارة المسحور ما كان للساحر من فعل أو أثر، ونساء الرسول ﷺ كما يزعم ابن عربي سحرنه ولم يكن لهن ذلك لولا احتقارهن له، وفي ذلك يقول: "ألا ترى تأثير همم النساء في السحر- . ولولا احتقروا المسحور وقطعوا بهممهم أن هذا الذي يفعلونه قولاً أو عملاً يؤثر في المسحور ما أثَّر- فلهذا قلنا من حقَّر غلب"[1].

وإذا كان الساحر يستخدم النفث، فإن جبريل قد فعل هذا مع محمد ﷺ "فإن النبي ﷺ يقول: إن روح القدس نفث في روعي فذلك مثل الريق الذي يكون في النفث الذي ينفثه الروح في الروع والساحر في العقدة"[2] أي كيف يأمرنا بالاستعاذة من النفاثات في العقد؟ وجبريل نفسه يستخدم النفث المميز للسحرة مع محمد ﷺ.

ولما كان السحر معناه التباس الحق بالباطل، نراه قد استخدم هذا المعنى في شرحه لنظرية وحدة الوجود التي جمعت بين الحق أو الله والخلق قائلاً: "أتهزؤون من السحر وهو لسان الحقيقة، فالعالم كله سحر يخيل إليك أنه حق وليس بحق ويخيل إليك أنه خلق وليس بخلق إذ ليس بخلق من كل وجه وليس بحق من كل وجه"[3]. فسبحان الذي جعل السحر

[1] - ص٥٢٨ ج٣ بـ٣٨٥ نفسه
[2] - ص٣٧٠ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه
[3] - ص١٥١ ج٤ بـ٥١١ نفسه

إمامه في وحدة الحق بالخلق، فالسحر إذن مقياس وحدة الوجود وهو ما قال به السحرة والمتصوفة منذ قديم الزمان.

السحر لغة كما يقول "مشتق من السَحَر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلَّص لأحد الجانبين"[1]، ولما أراد ابن عربي بهذه الفكرة أن يوحد بين السحر والمعجزة قال بأن السحر من الشياطين والمعجزة من الملائكة وبالتحديد من الملكين هاروت وماروت، وهكذا أصبحت المعجزة من جملة السحر نظراً لأن هاروت وماروت وفق الخبر القرآني يعلِّمان الناس السحر، وفي ذلك يقول: "ومما يلجأ إليه في دفع ما يكره من الأفعال ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان من علم السحر الذي مزجوه بما أنزل على الملكين هاروت وماروت من علم الحق. فعلم الحق من ذلك هو العلم بالأمور التي تسمى معجزات- وعلم الباطل من ذلك علم الخيال- كذلك السحر له وجه إلى الحق وهو ما ظهر إلى بصر الناظر فإنه حق وله وجه إلى الباطل لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر، فلهذا سمته العرب سحراً، وسمي العامل به ساحراً، إلا العالم به ولهذا سمي كيداً من كاد يكيد أي كاد يقارب الحق"[2]. والمتأمل حقيقة في أنفاق هذه السفسطة سيدرك غرضه من تقديس السحر والسحرة بكل جلاء ووضوح.

[1] - ص٥٦ ج٢ الكبريت الأحمر

[2] - ص٥٧٦ ج٢ بـ٢٧١ الفتوحات المكية

فالسحر باطل له وجه إلى الحق، والمعجزة حق لها وجه إلى الباطل، فالأنبياء سحرة وأن الله سبحانه وتعالى علَّم آدم الأسماء كلها "من حيث ما هي عليه من الخواص.- فإنه لكل اسم خاصة من الفعل في الكون يعلمها من يعلم الحروف.- فمنها ما له أثر في العالم الأعلى وتنزيل الروحانيات بها إذا ذكرت أو كتبت في عالم الحس، ومنها ما له أثر في العالم الجبروتي من الجن الروحاني، ومنها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل وفي حس كل ذي حس، ومنها ما له أثر في الجانب الأحمى الأعلى الذي هو موضع النسب ولا يعرف هذا التأثير الواحد و أسماءه إلا الأنبياء والمرسلون"[١].

فبواسطة علم الحروف حسب ابن عربي ، يستنزل الأنبياء الملائكة بما فيهم جبريل، وبه يسيطرون على الجان، وبه كان لهم تجسيد الخيال أمام الحس. وهل من شيء بعدها للتمييز بين السحرة والأنبياء؟! لا، فكل الأولياء على السنة ولهم علم الحروف كما كان للأنبياء بالتمام والكمال!

---

[١] - ص٦٨ ج٢ بـ٧٣ نفسه

## - الأولياء سحرة:

لقد حصَّل ابن عربي كل فنون السحر، وانتصر لها بكل ما أوتي من قوة، حتى جعل علوم السر من العلامات التي تشير إلى أولياء الصوفية، وليس هذا هو رأيه فحسب، وفي ذلك يقول: "علم الحروف وهو علم الأولياء، كذا قال محمد بن علي الترمذي"[1]، "فإنه من العلم الذي اختص الله به أولياءه على الجملة"[2]، "وهذا العلم يسمى علم الأولياء فبه تظهر أعيان الكائنات"[3]، "والأولياء منهم الساحرون، السحر بالإطلاق صفة مذمومة وحظ الأولياء منها ما اطلعهم الله عليه من علم الحروف، وهو علم الأولياء، فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال-. وهو من باب الكرامات وخرق العوائد ولكن لا يسمون سحرة مع أنه يشاهد منهم خرق العوائد **فسمي ذلك في حقهم كرامة وهو عين السحر** عند العلماء"[4]. الكرامة إذن عين السحر، والساحر في التصوف يسمى ولياً لا ساحراً، فالاختلاف في الاسم فقط! والولية فاطمة بنت مثنى مثلاً كانت تستخدم فاتحة الكتاب في قضاء حوائجها، فقد كانت تتجسد لها

---

[1] - ص٢٦١ ج٣ بـ٢٥٧ الفتوحات المكية
[2] - ص١٩١ ج١ بـ٢٦ نفسه
[3] - ص١٩٠ ج١ بـ٢٦ نفسه
[4] - ص١٣٥ ج٢ بـ٧٣ نفسه

الفاتحة انتظاراً لأوامرها"[1]، والأبدال المتصوفة كما يقول ابن عربي ليسوا إلا سحرة، فهم سبعة موزعون على سبعة أقاليم "وكل أمر علمي يكون في يوم الأربعاء فمن روحانية عيسى عليه السلام-. **وللبدل** صاحب هذا اليوم الإقليم السادس ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعة من الأيام **علم الأوهام** والإلهام والوحي-. وعلم الكتابة والآداب **والزجر والكهانة والسحر والطلسمات والعزائم"**[2]، "وأما **رجال الحد فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية"**[3]، "وأما **رجال المطلع فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية فيستنزلون بها منها ما شاء الله"**[4]. فالأولياء الذين يسخرون الجن لهم أيضاً تسخير الأسماء الإلهية، حيث أن الأسماء في رأيه كائنات يمكن تسخيرها أو استنزالها للتسخير!!

السحر بأصله يعود إلى روحانية عيسى ولا ضير على الأولياء إن أخذوا به، حتى معجزاته عليه السلام لم تكن له إلا لمعرفته بعلم الكهانة والسحر والطلسمات والعزائم وإلى ما هنالك!!

الأولياء أو بعضهم كما يقول ابن عربي يجالسهم "الروحانيون من الجان"[5]، "وغاية الرجل الذي تعتني به أرواح الجن أن يمنحوه من علم

---

[1] - ص١٣٥ ج٢ بـ٧٣ نفسه
[2] - ص١٥٥ ج١ بـ١٥ نفسه
[3] - ص١٨٧ ج١ بـ٢٥ نفسه
[4] - ص١٨٨ ج١ بـ٢٥ نفسه
[5] - ص١٢٣ نفسه

خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وهو علم السيمياء"[1]. ولكن عوضاً عن قوله بمؤاخاة الشياطين، نراه يقول بمؤاخاة الملائكة، ففي معرض حديثه عن أسرار تفصيل الوحي يقول: "فيه علم المؤاخاة بين الملائكة والناس والصلحاء"[2].

ولكن ألا يعني هذا كله أن روحاً شريرة على حد تعبير الوسطاء كانت تهيمن على ابن عربي مستهزئة به زاعمة أنها اسم إلهي متجسد، أو أنها ملك من الملائكة، أو أنها روح هذا الكوكب أو ذاك، أو أنها روحانية عيسى أو موسى وإلى ما هنالك، أو أنها هذه السورة من القرآن أو تلك، أو أنها الله، وليس هذا كله على الشيطان بغريب، ولكن الشيطان برأيه ليس إلا واحداً من أسماء الله الحسنى، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

وعلى الرغم من التمييز في السحر بين الجانب العملي والجانب النظري الذي قال به ابن عربي، فقد تكلم عن الجانب العملي الشيء الكثير والكثير جداً، ابتداء في صراعه مع الخصوم والأعداء حيث استخدامه للسحر نهاية باستخدامه لإخراج الكنوز، وها هو مثلاً يقول: "يقف العارف على موضع الكنز فيتكلم بالاسم فيشق الأرض عن المال المكنوز فيها. فإذا أبصرها تكلم باسم آخر فيخرج المال بتلك الخاصية كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس حتى لا يبقى من ذلك المال في ذلك الموضع

---

[1] - ص٢٧٤ ج١ بـ٥١ نفسه
[2] - ص١٧٤ ج٣ بـ٣٤٣ نفسه

شيء"[1]، ويقول أيضاً وعلى نهج المنجمين: "ومن تمكن له أن يضع قلماً على شكل المنازل في طالع مخصوص. وتكون الدراري في عقدة الرأس، فإنه يكون عن ذلك القلم متى كتب به، عجائب في سرعة ظهور ما يكتب له في أي شيء كان"[2]. والمضحك أنه بعد أقواله هذه أراد التفريق بين الولي والساحر حيث قال: "والفرق بيننا في هذا المقام وبين علم السيمياء أنك إذا أكلت بالسيمياء أكلت ولا تجد شبعاً، والذي يقبض عندك مما تقضيه من هذا العلم إنما ذلك نظرك ثم تطلبه فلا تجده. بل كل ما تراه بطريق السيمياء إنما هو مثل ما يرى النائم، فإذا أتيته لن تجد شيئاً مما رآه فإن صاحب علم السيمياء له سلطان وتحكم على خيالك بخواص الأسماء أو الحروف أو القلقطيرات، فإن السيمياء لها ضروب أكثفها القلقطيرات وألطفها التلفظ بالكلام الذي يخطف به بصر الناظر عن الحس ويصرفه إلى خياله"[3].

وناهيك عن أن الأولياء لهم كل تلك العلوم فقد رأينا الساحر اللبناني "داهش" كما مر معنا معترفاً بأن قرينه من الجن يسرق له ما شاء عملة كانت أو فواكه طازجة، ومن يأكلها سيجد بها الشبع حتماً، والمعنى أن التمييز الذي قال به ابن عربي هو تمييز واهٍ جداً ولا قيمة له.

---

[1] - ص٥ ج٣ بـ٣٠٠ نفسه
[2] - ص١٢٣ ج٢ بـ٧٣ نفسه
[3] - ص٤٣ ج٣ بـ٣١١ نفسه

## ـ علم الحروف:

علم الحروف أو علم الأولياء كما يقول ابن عربي "علم شريف في نفسه، إلا أن السلامة منه عزيزة فالأولى ترك طلبه"[١] إلا لمن كان متمكناً في سلوكه بطريق التصوف.

الحروف عند ابن عربي ذات معنى وجودي، فالوجود كله برأيه كلمات إلهية متجسدة اعتباراً من الكرسي نهاية بالخنزير، والحروف لديه أمم شأن الأمم البشرية، فالحروف التي بين أيدينا كما يقول أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون وفيهم رسل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا"[٢] نحن أهل الله "ولنا في علم العدد من طريق الكشف أسرار عجيبة"[٣]. وما كلامه في علم الحروف كما يزعم إلا عن أمر إلهي، فإن الله نفسه قد رخص له الحديث عن هذه الأسرار، وفي ذلك يقول: "فعلته عن أمر ربي الذي عهدته، فلا أتكلم "عن الحروف إلا على طريق الإذن- وقد أذن لي في تقييد ما ألقيه"[٤]، فاحذر الاعتراض!! وبعد أن ضمن عدم الاعتراض تحت أستار الكشف واللدنية والإذن راح يحدثنا عن مراتب الحروف الصوفية قائلاً: "فمنهم القطب كما منا وهو الألف- والإمامان هما: الواو والياء- والأوتاد أربعة

[١] ـ ص١٩١ ج١ بـ٢٦ الفتوحات المكية
[٢] ـ ص٥٨ ج١ بـ٢ نفسه
[٣] ـ ص٦٠ نفسه
[٤] ـ ص٥٩ نفسه

هم: الألف والواو والياء والنون- والأبدال سبعة..."[1]، وحرف الباء ينوب مناب الحق"[2]، "والإنسان الكامل هو النقطة التي تحت الباء في البسملة"[3] وفي "رب"!!

وللحروف سلطان عظيم لمن عرف تسخيرها، فحرف الألف "ظاهر سلطانه النبات"[4]، والهمزة "ظهور سلطانها في الجن والنبات والجماد"[5]، **وحرف الشين "له الخلق والأحوال والكرامات"**[6] وإلى ما هنالك من تخريف، ولكن القضية ليست تخريفاً، لا، فهل نسيتم الباطن والظاهر، فالظاهر حروف عند أهل الظاهر ليس إلا، أما في الباطن فهي أجساد للأرواح أو للأسماء الإلهية، وهذا غير مدرك إلا لأهل العرفان أصحاب الكشف، وتسخير الحروف على الحقيقة، هو تسخير لأرواحها، "فهذه الحروف كما يقول ابن عربي أجساد تلك الملائكة- فبهذه الأرواح تعمل الحروف لا بذواتها- وما منهم ملك إلا وقد أفادني"[7].

وعن رياضات حرف الصاد مثلاً الذي جعل روحه واحداً من مصادره المعرفية، يقول: "استلقِ على ظهرك على حالة المستريح الفارغ

[1] - ص٧٨ ج١ بـ٢ نفسه
[2] - ص٧٤ ج١ بـ٢ نفسه
[3] - ص٣٢٦ فلسفة التأويل
[4] - ص٦٥ ج٢ بـ٢ الفتوحات المكية
[5] - ص٦٦ نفسه
[6] - ص٦٩ نفسه
[7] - ص٣٠٤ فلسفة التأويل

من شغله، وتَذْكُر الصاد وتأهب بعدها لما يرد عليك من أخبار السماء"[١]، وهكذا تكون العودة تارة أخرى إلى فكرتي "التركيز والتأمل" اللتان تسمحان بإبعاد العقل والإدراك الحسي عن الإنسان لتكون الفرصة مهيأة لهيمنة الأرواح أو الجن أو أرواح الحروف على الجسد حسب زعمه.

[١] - ص٧١ ج١ بـ٢ الفتوحات المكية

- **إبليس والتصوف:**

المعصية مصدر السحر، ولن يكون الشيطان استاذاً لأحد إلا باتخاذ منهجه وما يقول به من عقائد، وكثر هم المتصوفة الذي صرحوا بأخذ المعرفة عنه، والسحر طبعاً من جملتها، فالحلاج يقول بصراحة: "فصاحبي واستاذي إبليس- إن إبليس هُدِّد بالنار وما رجع عن دعواه"[1] في التوحيد الخالص، والشيخ سهل التستري اعترف هو الآخر بعشرته للشيطان الذي جعله استاذاً له ومصدراً من مصادره المعرفية قائلاً: "فهممت أن آخذ عن إبليس طريق المعرفة وإن لم ينتفع هو بها"[2]، واعترف أيضاً بأن فكرته عن الرحمة الشاملة من منظور لا فاعل إلا الله، إنما هي من أفكار استاذه إبليس، مما دفع ابن عربي إلى الاستهزاء به لينسبها إلى الله عز وجل قائلاً: "إن الشيطان استاذ سهل في هذه المسألة وأما نحن فما أخذناها إلا من الله، فما لإبليس علينا منة في هذه المسألة بحمد الله ولا غيرها- فإبليس ينتظر رحمة الله أن تناله من عين المنة والجود المطلق"[3]. فمآل إبليس في نهاية المطاف عند ابن عربي إلى الرحمة والنعيم فالنار نعيمه ومنها خلق وإليها سيعود، ولكنني أرى أن سهلاً هو الأصدق لأن الله لم ينسخ رسالته التي أرسلها إلى محمد ﷺ ولا قال بوجوب النعيم إلى إبليس لا بالمنة ولا بغيرها.

---

[1] - ص٣٧١ الصوفية في نظر الإسلام

[2] - ص٦ الأنوار القدسية

[3] - ص٦٢٢ ج٢ بـ٢٩٢ الفتوحات المكية

والشيخ الشعراني أيضاً يأخذ علومه عن اللعين إبليس، فقد "حدثنا أنه اجتمع بإبليس على ساحل النيل وجادله وسمع منه أن الإنسان ككفي الميزان وقلبه كلسان الميزان"[١]. فلا بأس إذن، ولا بأس على الصوفي إن أخذ معارفه عن الشيطان، ولكن كما يقول ابن عربي "لا امتثالاً لأمر الشيطان، فمن عرف كيف يأخذ الأشياء لا يبالي على يد من جاء الله بها إليه"[٢]. فالشيطان حسب رأيه ليس إلا واحداً من الوسائل التي يستخدمها الله في بث المعرفة إلى أوليائه الصالحين! فهو الاستاذ المسخَّر والرسول المرسل من الله، ولما كان الصوفي مريداً أو تلميذاً بين يدي شيخه إبليس "فمن شأنه ما دام تلميذاً أن يتأدب مع شيخه ويعتقد فيه ما أمكن"[٣].

إبليس كما يقول الشعراني من أهل الحق، أي أنه يعرف طريق الحق"[٤] وهو من أكابر أهل المحبة والتقوى، فقد "اجتمع – كما يقول – بعض العارفين رضي الله عنه بإبليس فقال إبليس: إني أحب أن يُنسب إلي جميع النقائص ولا أحب أن ينسب منها شيء إلى الحق تعالى"[٥]. فأي شيء تركه بعدها للمحبين هذا الفتى الذي رضي النقائص لنفسه وقاية لله تعالى، وأي ظلم أن يكون ملعوناً وقلبه عامراً بمحبة الله عز وجل؟ فإن

[١] - ص٢٠٤ ج٢ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق
[٢] - ص٣٧ ج٢ بـ٧٣ الفتوحات المكية
[٣] - ص٧ ج٢ الأنوار القدسية
[٤] - ص٧٣ نفسه
[٥] - ص٨٣ نفسه

الله برأي الشيطان هو الفاعل للطاعة والمعصية أو للحسن والقبيح والنقائص، والصوفي من وحي هذه الفكرة الشيطانية كان اعتقاده بتوحيد لا فاعل إلا الله، وابن عربي تيمماً بما يريده الشيطان وفق هذه الحكاية التي توضح رغبته في جعل معنى التقوى مساوياً للوقاية لا لشيء إلا ليصبح إبليس في نهاية المطاف شيخ أهل التقوى كلهم، فالشيطان برأي المتصوفة من أهل الحق، ولذلك قال كبيرهم أقصد ابن عربي: "فإن كان حقاً ولو من شيطان فاقبله"[1]، والشيخ ابن عجيبة أيضاً رأى أن من مناقب إبليس "كونه منديلاً للعار تُمسح فيه أوساخ الأقذار"[2].

إبليس غيور على الطاعات وعارف بالله لا يجارى، فحقَّ له أن يكون استاذاً وشيخاً، والشعراني يقول: "اجتمعت بإبليس في عالم الخيال وذاكرته. فقال إبليس: أنا أغار على نقص الطاعات لأن الرحمة سبقت الغضب ولأن من كمال الله تعالى وجود الطاعات وللعاصي في ملكه الاسم المنتقم. كذلك الاسم الرحيم مثلاً يطلب الرحمة"[3]، ويعقب الشعراني قائلاً: "فالتنازع بين الأسماء الإلهية – واقع – فانظر هذا اللعين ما أشد معرفته بحضرات الأسماء"[4]، وما أشد غيرته على القرآن، فالشيخ "ابراهيم الخواص – حسب رواية القشيري – يقول: انتهيت إلى رجل وقد

[1] - ص٢٢٦ ج٣ بـ٣٥١ الفتوحات المكية
[2] - ص١٥٣ ج٢ إيقاظ الهمم
[3] - ص١٦ الأنوار القدسية
[4] - ص١٧ نفسه

صرعه الشيطان فجعلت أؤذن في أذنه فناداني الشيطان من جوفه: دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق"[1].

فالجبر أو توحيد لا فاعل إلا الله إذن الذي يميز الظاهرة الصوفية أو الغنوصية من عقائد الشيطان، وما جعل الشيطان الأفعال أفعالاً للأسماء الإلهية التي تطلب ذاتها ولو بالصراع فيما بينها إلا ليبث عقيدته التي تساوي في نهاية الأمر بين العاصي والمطيع أو بين العقائد والأديان أو بينه وبين الأنبياء. ولكنه وهو الملعون من العارفين الذين لا يجوز البحث عن أسرارهم فسلم لأوليائه أمرهم ودعك من التفكير في شأنهم.

إبليس من العارفين، من المحبين لله، من الغيارى على القرآن والطاعات، إنه منديل الحق. وكيف لمن كانت هذه صفاته أن يكون مكروهاً ملعوناً من الأولياء أوليائه، وعلى سبيل المثال سئلت رابعة العدوية يوماً: "هل تحبين الله تعالى؟ فقالت: نعم، فقيل لها: هل تكرهين الشيطان؟ فقالت: لا، فإن حبي الله لم يدع لي فراغاً لكره الشيطان. فحبها لله لم يدع في قلبها مكاناً لكره إبليس"[2]. ومن أجل زوال العداء والكره بين إبليس والأولياء يقول ابن عجيبة: "فإذا اشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب"[3]، فدع إبليس وشانه وإلا حرمت من المحبة "فالشيطان كالكلب

---

[1] - ص٦ الرسالة القشيرية.
[2] - ص٦٢ التصوف في الإسلام
[3] - ص١٥٢ ج٢ إيقاظ الهمم

إن اشتغلت بمقاومته مزق الإهاب وقطع الثياب وإن رجعت إلى ربك صرفه عنك"[١]. فدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله وإياك أن تستعيذ منه أو تلعنه، فقد لعن "شخص إبليس في حضرة الشيخ شمس الدين الحنفي. فقال له: لا تعوِّد لسانك إلا خيراً ولو كان ذلك جائزاً"[٢]. فمن الشر أن تلعن إبليس وإن لعنته اعتاد لسانك على المكروه أو الفاحشة ورحمة الله أوسع من أن تحد. والرفاعي قال لرجل فقير أو صوفي لعن إبليس وهو يسمع: أي مبارك، عِوَضْ اللعنة قل سبحان الله. فقال الفقير أيرحم الله تعالى هذا؟! فقال رضي الله عنه: أي ولدي غداً في القيامة يظهر من كرم الله سبحانه وتعالى على الخلق ما يتطاول إليه هذا المذكور – إبليس – وللحق في الكل تدبير والله الموفق للصواب"[٣]، والشيخ أبو الحسن الحصري لا يستعيذ من الشيطان عند قراءته للقرآن وها هو يقول: "كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول: مَنْ الشيطان حتى يحضر كلام الحق عز وجل"[٤]. ولكن هل عرف هذا المسكين أن الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن واجبة بأمر إلهي؟!

وهكذا استطاع الصوفي أخيراً أن يرفع العداء بينه وبين الشيخ إبليس بحجة الرحمة الإلهية الشاملة وبالحب الإلهي الذي يعمر قلب

---

[١] - ص١٥٣ نفسه
[٢] - ص٩٨ ج٢ الطبقات الكبرى
[٣] - ص١٧٩ قلادة الجواهر
[٤] - ص٤٩٢ طبقات الصوفية، ص١٢٣ ج١ الطبقات الكبرى

الصوفي وبمناقب إبليس التضحوية. وبالتهوين من شأنه وشأن عصيانه مقارنة بكرم الله وبالمساواة بين الطاعة والمعصية وبالقول بتوحيد لا فاعل إلا الله، وبالدموع التي سكبت على الفتى المظلوم حتى آلت الأمور أخيراً إلى الوئام وكان أن جعلوه من أهل القرب والنعيم، وعندها رضي الله عنه!

## - الشيطان رسول:

الشيطان رسول، الساحر رسول، شأنهما في ذلك شأن بقية الرسل والأنبياء، فالساحر كما يقول ابن عربي لا يفعل شيئاً إلا بإذن الله وهل الرسالة إلا الإذن؟ "ألا ترى إبليس -. وكذلك الساحر بعده كيف شهد "سبحانه" لهم بالرسالة-. فقال في السحرة "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله"[1]، واعلم أنه لا معنى للرسالة إلا أن يكون حكمها هذا وهو إذن الله. وقال "تعالى في إبليس، في إثبات رسالته: "اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا" ثم عرفنا الله سبحانه ما أرسله به فقال: واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم. وهذه الأحوال كلها عين ما جاءت به الكُمَّل من الرسل عليهم السلام الذين أعطوا السيف"[2] كمحمد صلى الله عليه وسلم.

فـ "الشياطين-. مسلطون على الإنسان بأمر الله فهم مرسلون إلينا من الله"[3]. وهم مرضيون من الله عارفون به تعالى "فإذا كفر "الإنسان" يقول له "الشيطان" إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين-. فخوف الشيطان على الذي قبل إغواءه لا على نفسه "تماماً كما تخاف الأنبياء

---

[1] - ص١٦١ ج٤ بـ٥١٩ الفتوحات المكية
[2] - ص٢٨٠ فلسفة التأويل
[3] - ص٣٦٧ ج٣ بـ٣٦٩ الفتوحات المكية

عليهم السلام يوم القيامة على أممهم لا على أنفسهم **وسبب ارتفاع الخوف من الشيطان على نفسه علمه بأنه من أهل التوحيد"**[1]، "فشهد الله للشيطان بالخوف من الله رب العالمين في دار التكليف وبالإيمان به"[2]، "فإنه رسول من الله"[3]. الشيطان إذن لا يخاف على نفسه أو مآله، فهو رسول ومن أهل التوحيد والإيمان والخشية ومن أكابر الله "الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، "وقد علم إبليس حسب ابن عربي أيضاً أن جهنم لا تقبل خلود أهل التوحيد فيها، وأن الله لا يترك فيها موحداً بأي طريق كان توحيده"[4].

فوحدة الوجود وتوحيد لا معبود إلا الله كل ذلك مصدره إبليس وهو مصدر اعتقاد أولياء التصوف بعدم خلود الكفار في النار أو جهنم، وتلك هي أقوالهم.

إبليس العارف يعلم بأن جهنم لا تقبل خلود أهل التوحيد، ولما كانت الرحمة عند ابن عربي وجوب وامتنان، فقد نالها إبليس برأيه من جهة الامتنان "فوجبت الرحمة له"[5]، وتكثيراً لأولياء الشيطان في البيئة الإسلامية يقول ابن عربي: "فإذا كانت الشياطين قد أصابتهم الرحمة فما

---

[1] - ص٣٦٨ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه
[2] - ص١٦١ ج٤ بـ٥١٩ نفسه
[3] - ص٦٢٣ ج٢ بـ٢٨٣ نفسه
[4] - ص٣٨٢ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه
[5] - ص٥٢٦ ج٣ بـ٣٨٤ نفسه

ظنك بأهل الإسلام"[١]، أو فسقة المسلمين وكفارهم "ولما رأى **إبليس** منة الله قد سرت في العالم طمع في رحمة الله- **فعبده مطلقاً لا مقيداً ففي أي وجهة تصرَّف لم يخرج عن حق"**[٢]. فكل العقائد على صواب مهما كانت عبادات أصحابها ولا فرق بين عبادة الأوثان وأهل الإيمان والكل لم يخرج عن الحق بتوحيد لا معبود إلا الله، إنه التوحيد!!

الشيطان مرحوم ومآلة إلى السعادة والنعيم، ولا عذاب لمن قام بما كلف به خير قيام، ولذلك كما يقول ابن عربي "كان جزاء الشيطان أن ردَّه "الله" إلى أصله"[٣] الذي منه خُلق. فالنار نعيمه وإلى ما خلق منه سيعود، سيعود إلى أصله إلى داره بعد طول الفراق، وبهذا يكون له الفوز العظيم. وفي معرض حديث ابن عربي عن منزل أسرار تفصيل الوحي يقول: إن "فيه علم سعادة من استكبر بنفسه كإبليس"[٤]. فأهل "الجمع" أو الفناء في الله لا عذاب عليهم وكيف يكون إن كانوا على جمع مع الله، فالملائكة سجدت لأنها كانت في مقام الفرق، **وكيف يكون السجود لإبليس الذي في مقام الجمع مع الله، "ففي إياك نستعين "التي تعني الفرق" سجدت الملائكة وأبى من استكبر"**[٥]. فمقام الجمع مع الله وزوال الفرق

---

[١] - ص٧٥٣ ج١ بـ٧٢ نفسه
[٢] - ص٣٦٩ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه
[٣] - ص٣٦٨ ج٣ بـ٣٦٩ نفسه
[٤] - ص١٧٣ ج٣ بـ٣٤٣ نفسه
[٥] - ص١١٥ ج١ بـ٥ نفسه

بين الخالق والمخلوق مصدرهما إذن اللعين إبليس!! وإلى الله سيعود يوم الفصل والقرار مقرباً لله كما كان! "فحينئذ – كما يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني – يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي"[١]. فإبليس إذن وهذا هو المهم هو المصدر للتوحيد الصوفي بشقيه: لا فاعل ولا معبود إلا الله! ولم يبق إلا توحيد لا موجود إلا الله أو الركن الثالث في توحيد الغنوص فهيا إليه.

[١] - ص٣٩ ج٢ بـ٥٩ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

**ـ الشيطان اسم من أسماء الله الحسنى:**

الوجود برأي ابن عربي أسماء إلهية متجسدة في الواقع، والله هو مجموع أسمائه أو مجموع الكل الموجود، ولا موجود إلا الله، فـ"الخراز مثلاً من أسماء الله وكذلك "الخنزير" و"الشيطان" وإلى ما هنالك من أسمائه تعالى، ومن أجل البرهنة على اعتقاده هذا انطلق للبحث عن الأدلة القرآنية، وبالبراهين انتصر لتفضيل العارف إبليس بالقرب من الله على آدم المحجوب عنه بالمادة. يقول: إبليس مخلوق من النار "وقال: أنا خير منه خلقتني من نار، والنار – كما يقول ابن عربي – أقرب في الإضاءة النورية إلى النور والنور اسم من أسماء الله"[1].

فإبليس إذن اسم من أسمائه تعالى وإذا ما كانت "الشيطنة" لغة تعني البعد، فاعلم كما يقول أن "من أسمائه سبحانه البعد"[2]. فالشيطان اسم إلهي شأنه في ذلك شأن اسمه الرحمن وإلى ما هنالك.

البرق كما يقول من تجليات الاسم البعيد أو الشيطان، ولكنها الأسرار التي لا تحكى "وأما أنوار الرياح – كما يقول ابن عربي – فهي تجليات الاسم البعيد، وهي تجليات لا ينبغي أن يذكر أسمها، ولا تكون إلا لأهل الإلهام"[3]. فالمحجوبون من الجهلة والعوام لا يعرفون بأن البعد من

---

[1] - ص٧٤ ج٣ بـ٣١٩ الفتوحات المكية
[2] - ص١٩٧ ج٢ بـ١١٥ نفسه
[3] - ص٤٨٩ ج٢ بـ٢٠٦ نفسه

أسمائه تعالى، ولا يعرفون أن الشيطان بُعدٌ ونور برق، وإن عرفت هذا السر فاكتمه إلا عن أهله أهل التصوف.

الكل أسماء إلهية بشراً كانوا أم شياطين، وعن رجم إبليس بالحصى في الحج يقول ابن عربي: "فكانت أسماء إلهية أذهبت أسماء"[1]. فالنزاع بين الأسماء الإلهية بين الحصى وإبليس لا ينقطع، هذا أيضاً ما يعتقده إبليس كما روى الشعراني وابن عربي.

الشيطان من النور فهو الأقرب إلى الله عز وجل بطبيعته، "واعلم أن نسبة الأرواح النارية في الصور الجرمية أقرب مناسبة للتجلي الإلهي- من الجسم الإنساني"[2] الظلماني، واعلم أيضاً أن الخاطر الشيطاني هو عينه الحديث الرباني حسب ابن عربي، يقول: "**فيقال خاطر شيطاني، وهو حديث رباني وقول إلهي**". فكيف للصوفي ألا يأخذ المعرفة عن العارف إبليس؟!

الشيطان من حيث طبيعته التي تجعله أكثر مناسبة في القرب الإلهي لطيف بطبيعته، لهذا لا نراه، لأنه مخلوق بالاسم اللطيف الذي به كان

[1] - ص٣٩٩ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه
[2] - ص٤٦٧ ج٢ بـ١٩٨ نفسه

"إيجاد الجن"[1]، "فالاسم اللطيف أورث الجان الاستتارة عن أعين الناس"[2].

وبالنتيجة: طالما الله هو الكل الموجود، وطالما الأشياء كل الأشياء أسماء إلهية، عندها: لا موجود إلا الله.

ومن مبدأ ابن عربي القائل: الوجود خير والشر عدم فإبليس وطالما هو موجود، فهو خير ومآله إلى خير أو إلى السعادة والنعيم.

---

[1] - ص٤٦٦ ج٢ بـ١٩٨ نفسه

[2] - ص٤٦٦ نفسه

**- إبليس فتى مظلوم:**

من أجل التوحيد ثلاثي الأركان القائل: لا موجود ولا معبود ولا فاعل إلا الله، من أجله جعلوا إبليس من المقربين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل صواب اعتقاده بالتوحيد.

فإبليس برأي "التستري" من العارفين "إنه عالم، بل إنه أعلم الخلق"[١]، ومعرفته تتفوق "على معرفة الملائكة وعلى معرفة الخضر نفسه"[٢]، إلا أنه كما يقول "أجهل الخلق: أعلمهم من حيث الحال وأجهلهم من حيث السلوك"[٣]، فقد أمره الله بالسجود لآدم فأبى انصياعاً وإخلاصاً لمعرفته بتوحيد الله، وحجته كما يقول سهل ""أأسجد لمن خلقت طينا" وأنت الله – الذي – لا يجوز أن يعبد غيره؟"[٤]، ولم يتوانَ سهل عن استخدام فكرة الجبر برهاناً على تلاؤم إبليس مع المشيئة الإلهية، وعندها يكون إبليس مطيعاً للمشيئة عاصياً للأمر. وتلك هي مقدمات الوصول إلى فكرة الفتى المظلوم إبليس، وكأن الله الذي أمر إبليس بالسجود لآدم قد أمره بعبادة آدم! ولكن لا بد من هذه الحلقة لارتباط المقدمات بالنتائج.

---

[١] - ص٣٤٤ من التراث الصوفي
[٢] - ص٣٤٥ نفسه
[٣] - ص٣٤٤ نفسه
[٤] - ص٣٤٥ نفسه

أما الحلاج فكان الأجرأ إذ ذهب بالشوط حتى نهايته"[1] معتبراً إبليس أفضل مخلوق دافع عن التنزيه الإلهي"[2] فقد "عصى – إبليس كما يقول الحلاج – الأمر الإلهي لمعرفته بأن السجود لا يكون إلا لله وحده- ولهذا اعتبره أستاذا له وصاحبه، حيث قال: وأستاذي إبليس وفرعون"[3].

فإبليس برأيه لم يسجد لآدم لأن الله سبحانه أراد عدم السجود في الأزل رغم الأمر بالسجود وإبليس رأى أن هذا الأمر ظاهري فقط، وهو في حقيقته ابتلاء!! والله وحده سبحانه هو الحقيق بالسجود له"[4]. وهكذا أصبح إبليس برأي الحلاج "من أهل الفتوة لأنه هدد بالعذاب فلم يرجع عن دعواه التي آمن بها"[5]. فالله بالنتيجة هو المخطئ واللعوب! فسبحانه تعالى عما يصفون!

ولم يكتفِ الحلاج بذلك بل راح يقارن بين منزلة محمد ﷺ ومنزلة إبليس ليقول: "إن ثمة موجودين- هما إبليس والمساواة بينهما في الخطأ إمام الملائكة في السماء، ومحمد إمام الناس على الأرض، كلاهما نذير- بيد أنهما وهما بسبيل إعلام هذه الرسالة قد توقفا في منتصف الطريق- حيث لم يشأ إبليس احتمال فكرة أن الله المعبود يمكن أن يتخذ الصورة

[1] - ص٢٣٤ – ٢٣٥ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[2] - ص١٣٥ في التصوف الإسلامي وتاريخه
[3] - ص١٣٥ نفسه
[4] - ص٢١٨ الحلاج شهيد التصوف الإسلامي
[5] - ص٢١٩ نفسه

المادية المحقرة لآدم. وفي المعراج توقف محمد عند أعتاب الحريق الإلهي دون أن يجرؤ على الدخول في نار الإرادة حتى يفنى فيها"[1]. أي: فكما أخطأ إبليس في قصور توحيده دون الحلول بالله، كذلك أخطأ محمد لما لم يتجاوز مقام "قاب قوسين" نحو الاتحاد به سبحانه!

إبليس كما يقول ابن عربي من العارفين الطائعين، ومن أجل معرفته تحترمه الملائكة إلى الآن! "إبليس يحج كل سنة. يبكي على ما فاته من طاعة ربه، وهو مجبور في الإغواء وإن كان من اختياره إبراراً لقسمه بربه. ولما كان لإبليس طرف من المعرفة لذلك لم تطرده الملائكة من عرفة. وعرفة من عرفات. فالرحمة شاملة وهي في كل موطن"[2]، واحتراماً لإبليس وإجلالاً لمعرفته قال ابن عربي: **"لا عرف الله من لم يعصه"**[3]، أي: العارف بالله على حد تعبيره هو الذي له التشبه بشيخه وإمامه إبليس!

الكل مجبر ولا فاعل إلا الله، فلا معنى للطاعة والمعصية وإبليس على سبيل المثال كما يقول ابن عربي لم يكن إلا مجبولاً على الإغواء كما هو مجبول على التبري والخوف من الله"[4]، وأكبر العصاة إبليس وهو الذي يقول: إني أخاف الله رب العالمين. وما ادعى قط الربوبية، وإنما

---

[1] - ص٣٠٧ دراسات في التصوف الإسلامي
[2] - ص٧١٨ ج١ بـ٧٢ الفتوحات المكية
[3] - ص٢١٠ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه
[4] - ص٤٦٧ ج٤ بـ٥٦٠ نفسه

تكبر على آدم لا على الله"[1]، والقرآن "ذكر آدم بأنه عصى نهي الله. وقيل في إبليس أبى ولم يقل فيه عصى أمر الله. ولم يذكر أنه أبى امتثال أمر ربه"[2].

أي: إبليس لم يرتكب ذنباً بعدم سجوده لآدم فهو مجبر حسب توحيد لا فاعل إلا الله، ولا هو بالذي عصى أمر الله كآدم، إنما عصى الواسطة التي جاءته بالأمر، وبالمقارنة بين إبليس وآدم انتصر ابن عربي لإبليس على آدم أو الإنسان على الإطلاق، ليقول: "فالإنسان ما يُفخَّر إلا بالجان"[3]. أي: لم يكن فخاراً لمَّا خلقه الله لولا النار التي منها إبليس، وبالنتيجة فإبليس هو الأفضل من آدم!!

[1] - ص٦٤٢ ج٢ بـ٢٨٨ نفسه
[2] - ص٣٥٣ ج٣ بـ٣٦٧ نفسه
[3] - ص٣٦٠ ج٤ بـ٥٥٩ نفسه

## - إبليس والسحرة:

إبليس مرضي عنه عند أولياء التصوف، وهو أستاذهم في علومهم وأفعالهم ابتداء من التوحيد الذي زعموه انتهاء بالكرامات والخوارق التي جرت بين أيديهم.

السحر كفعل من إبليس، مشروط حسب القرآن والسنة بالمعصية والكفر، حتى الشيطان لا يخدم مريديه إلا تبعاً لهذا الشرط، ومن كفر السحرة زعمهم بأن الأنبياء لم يكونوا إلا سحرة ومحمد ﷺ "كان في إصبعه منقوشاً في خاتم فضة- وهو للقبول والسفر ولإمراض الجن وسائر الأرياح"[1]، وقال شاعرهم:

*"في خاتم المختار سر مودع كان النبي يرى به ما يصنع"*[2]

وموسى عليه السلام أيضاً، لم يكن لهم فلق البحر بعصاه إلا بفعل الطلاسم المنقوشة عليها، وكل الأنبياء كما قال الغزالي قد بخروا للكواكب استعانة بها وتوسلاً لقدراتها.

ولا بد للسحرة من الكفر بالقرآن إهانة وتكذيباً ليكون له العون من إبليس وأعوانه، فلشفاء الدابة مثلاً من المرض، تكتب على حافرها صورة

---

[1] - ص١٢ – ١٣ ج٣ التحف الجوهرية في العلوم الروحانية
[2] - ص١٣ نفسه

الإخلاص ثم تبخر وتعزم بكذا وكذا، ومن أجل المحبة والتهييج تكتب على سورة إنسان سورة الناس "وابدأ الكتابة من مشط الرجل اليمنى- إلى رجله اليسرى – إلى مكان الفرج-."[1]، وفي باب آخر "تكتب على رجله اليمنى "من الجنة" وعلى رجله اليسرى "من الناس""[2]، ومن ثم التوكيل بالوسواس الخناس! وفي باب آخر للمحبة، تكتب على أثر المطلوب ثم توكل وتقرأ سورة الإخلاص ألف مرة، وتقول على رأس كل مائة: "توكل يا عبد الواحد ويا عبد الصمد ويا عبد النار-."[3]، وفي القَسم على أولاد إبليس لجلب المحبوب: "اجلبوا كذا وكذا إلى كذا، وإلاَّ تكونوا من الساجدين لآدم أبو البشر"[4]، وفي عزيمة لتسخير إبليس: "أينك يا إبليس يا أبا مرة يا من تجلب العاصية مع الحرة، أجيبوا واجلبوا كذا إلى كذا-."[5]

**- إبليس وكرامات السحرة:**

كرامات السحرة عند إبليس كثيرة وأهمها ما يلي:

١ – دراهم القدرة: كثيراً ما نقرأ في سير أولياء التصوف فخرهم في الإنفاق من دراهم القدرة أو الغيب على أنها كرامة لهم، بالتقاطها من

[1] - ص٦٥ – ٦٦ ج٣ نفسه
[2] - ص٦٦ نفسه
[3] - ص٦ تسخير الشياطين في وصال العاشقين
[4] - ص٧ نفسه
[5] - ص٩ نفسه

الهواء أو بوجودها تحت الوسادة كل صباح، وبالحقيقة إنها من إبليس، ولنستمع إلى ما يلي: لتبديل الورق إلى دراهم، فبعد البخور والعزائم، يحضر الخديم بين يديك، وهو قط أسود، بعدها اكتب على الورق كذا وكذا "واجعلها في كاغد مكتوب فيه العزيمة أو القسم والكاغد في وسط خرقة زرقاء مربوط بخيط من حرير أصفر وأبيض أو هما معاً، **واجعله تحت جبهتك في السجود عن طلوع الشمس،** وأنت تصلي اثني عشرة ركعة"[1]، فإنه يحصل لك المطلوب. وفي باب آخر تكتب في الوجه الأول للورقة "ديموثا" وعلى الثاني "شيموثا" ثم تجعلها تحت جبهتك في السجود ثم تصلي عليها مائتي ركعة، مع البخور ثم تضعها تحت رأسك عند النوم، فتجدها في الصباح درهم أو دينار، وإن أردت المزيد **فدسَّه بين دراهم أحدهم فإنه يخطفها منه إليك"**[2].

٢ – المشي على الماء والطيران في الهواء: إن لتسخير آية الكرسي رياضات مدتها سبعة أيام، في خلوة وبخور **وعدم الأكل من كل ذي روح أو ما كان منها،** بعدها يأتيك المِلِك "كندياس" من ملوك الجان ليقول لك: "إن أردت أن تصل إلى مكة وأنت في منزلك، أو تطير في الهواء أو أن تمشي من المشرق إلى المغرب في خطوة-."[3] فأنا طوع أمرك.

[1] - ص٩١ شمس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى
[2] - ص١٤٢ – ١٤٣ نفسه
[3] - ص٨٥ ج٢ التحف الجوهرية

**أما عن السبب الذي يمنع المتريض في خلوته من أكل اللحم ومخلوقات البحر عند المتصوفة والسحرة هو أن الملك "دينياغوش" أحد ملوك الجان الساكن في الماء مسؤول عن حماية كل المخلوقات التي تعيش فيها، أما الملك "ديندوماش" وحيث هو على صورة كبش "يكره أن يؤكل شيء على صورته"**[1].

وإذا أردت أن تطوى لك الأرض فاقرأ العزيمة في فلاة من الأرض وأنت تبخر فإن الخديم من الجن يقف عليك فيسلم عليك فلا تجبه، فإنك ترى في يده عصا، اخطفها من يده وسر إلى مكانك، فمتى أردت المسير إلى المشرق أو المغرب في مسيرة يوم، فخذ تلك العصا واقرأ عليها الدعوة، وسر حيث شئت فإنك تصل مسيرة عام في يوم واحد"[2]، وبالعزيمة أو الدعوة نفسها تستطيع الطيران في الهواء "بحيث يشاهدك من حضر من الناس" وللمشي على الماء دون أن تزل لك قدم، وتذهب حيث شئت"، أما العزيمة فإنها موجهة إلى السيد "ميططرون" وهو المدعو بها "وهو المطلع على ما في جانب الكرسي الأيمن من الأوامر القرآنية" كما فيها الاستعانة بالأبالسة "ابن مرة وابن الأحمر وابن برقان

[1] - ص٢٥٧ الدر المنظوم
[2] - ص٤٩ شموس الأنوار وكنوز الأسرار

وابن شمهورش وابن ميمون"[1]، وبها أيضاً يكون جلب نقود القدرة لأوليائهم.

**ـ الكواكب وفعل الكرامات:**

الكواكب حسب اعتقاد أولياء التصوف كائنات حية ذات أرواح وعقول، يمكن استنزالها وتسخيرها لأغراضهم، والحقيقة أنه لا عقول للكواكب ولا أرواح لها، ولكنها مزاعم الشياطين تخدع بها من ظنوا أنهم أولياء لله، والصوفي يعرف هذا جيداً، حتى لم يتوانَ بالانتصار لإبليس على القرآن، وإن أردت تسخير المريخ أو روحه في معرفة الغيب فاصنع **"صنم المريخ"**[2]، **"وبين يديك نار تشتعل"**، وبخور وخلوة لمدة أربعين يوماً بشروطها، **مع صيام** "اللصورة أو الصنم وتقديم قربان له، وإن أردت بعد ذلك شيئاً من الكرامات أو الإخبار بشيء من المغيبات فتضرع إلى الصورة، وأن تسبح بحمد المريخ لأنها صورته عندها تحضر روحانية المريخ فتخبرك بالخبر الذي تريد"[3].

وتسخير عطارد يكون "بمدحه وتسبيحه والسجود له، وبتسخير زحل يكون العالم كله في قبضتك وتصرفك، فإذا كانت الكواكب لك مسخرات ولأمرك طائعات فلا يبقى شيء في عالم الكون والفساد إلا وهو

---

[1] ـ ص٥٢ نفسه

[2] ـ ص١٤١ ج٢ الدر المنظوم

[3] ـ ص١٤٣ نفسه

مسخر لك"[1]، **وعند السجود للكواكب تسأل حاجتك"**[2]، وهذا تسبيح زحل: "يا أيها السيد العظيم الأجل القاهر الجبار العفريت العظيم الشأن العالي المكان الرفيع الممتنع ذو العقل الصافي-. المغني المدمر المنتقم-. أسألك بحق آبائك العظام وأصحابك الكرام-. إلا فعلت لي كذا وكذا"[3].

ومن تسابيح الشمس لتسخيرها: "أيها السلطان المستعلي والملك المستولي، السيد القادر والسند القاهر المنفرد بالعزة والعلاء، أيها المقدس"، "أن تهب لي كذا وكذا، **وتخر ساجداً لها وتسأل حاجتك"**[4]. وبالنتيجة لا سحر دون الكفر، ولا كرامة عند الصوفي إلا وهي خوارق ومن أجلها كان توحيد أهل التصوف بوجوهه الثلاثة لتبرير عصيان إبليس لربه أو لجعله من أهل النعيم والسعادة الأبدية.

---

[1] - ص١٤٧ نفسه
[2] - ص٢٥٠ نفسه
[3] - ص٢٥٠ – ٢٥١ نفسه
[4] - ص٢٣٨ نفسه

## ـ الإسلام والسحر:

الصراع بين الفقيه والصوفي عظيم جداً، إنه بقدر المسافة الشاسعة التي تفصل بين الدين والتصوف، بين النبي والساحر، فالفقيه يجاهد بشكل دؤوب للحفاظ على كلية الدين والصوفي يحاول حثيثاً استخدام الإرث الديني لتبرير عناصر الظاهرة الغنوصية المختلفة بطبيعتها عن الإسلام والنبوة.

السحر من مقامات الصوفي وبه يعمل الأشياء الكثيرة، إنه واحداً من معارفه السرية التي يعلمها لمريديه بعد تحصيله لها، أما المسلمون فيؤمنون بوجود السحر إيمانهم بوجود الشيطان، ويسمون المشتغل به ساحراً لا ولياً من أولياء الله، "وذهب الجمهور إلى حرمة تعلم السحر، أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره في معرض الذم، وبين أنَّه كفر، فكيف يكون حلالاً؟! كما أن الرسول ﷺ عدَّه من الكبائر الموبقات، والذي نصَّ عليه العلماء والفقهاء أن تعلُّم السحر وتعليمه من الكبائر ـ. وقال النووي ـ. وأما تعلمه وتعليمه فحرام"[١] وأفتى "أبو حنيفة" و"مالك" و"أحمد" رضي الله عنهم بتكفير من يسعى لتعلم السحر فإنه يكفَّر بذلك ـ. ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر"[٢]، والشافعي رحمه الله يقول: "إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا

[١] ـ ص١٦٢ السحر بين الحقيقة والخيال
[٢] ـ ص١٦٤ نفسه

سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن أباحه فهو كافر"[1]، وروى الترمذي عن "جندب الأزدي" أنه قال: قال رسول الله ﷺ: حد الساحر ضربة بالسيف. وقال "بجالة بن عبدة: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلنا ثلاثة سواحر. أخرجه البخاري في صحيحه، وصحَّ أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت"[2].

أما عن تعلم السحر بحجة اجتناب السحرة أو دفعاً لشر السحر أو لاستخدامه للخير فمن المعلوم أن العلماء قد نهوا "عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره، التي تتضمن الشرك، بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك، خشية أن يكون فيه شرك"[3].

أما ابن عربي ومن أجل إباحته للسحر فقد زعم أن سحرة فرعون ما سقطت عنهم صفة السحر مع إيمانهم برب موسى، وهذا بالطبع قول مغلوط يحذف عمداً تخليهم أو توبتهم عن السحر حتى كان لهم اختيار الإيمان، والغزالي بدوره جعل العمل بالسحر من ضرورات التمييز بين المعجزة والسحر حيث قال: لا تمييز بينهما على الحقيقة إلا لمن كان

---

[1] - ص١٦٤ ــ ١٦٥ نفسه
[2] - ص١٦٥ نفسه
[3] - ص١٤٤ ــ ١٤٥ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

ساحراً أو نبياً، وطالما أن النبوة انقطعت فهذا يعني برأيه وجوب تعلم السحر لهذه الغاية، وابن خلدون هو الآخر لا يرى بأساً في تعلم السحر لدفع ساحر يدعي النبوة و"الصابوني" أباحه كذلك محتجاً بالملكين هاروت وماروت و"الرازي" يرى أن تعلم السحر يؤدي كما قال الغزالي إلى التمييز بين المعجزة ومخاريق السحرة. وعندما رأى الحسن البصري رحمه الله خطورة الاحتجاج بهاروت وماروت لإباحة السحر قال أنهما لم يكونا ملكين هبطا بابل، بل كانا أميرين من العجلان، أي من غير العرب"[1]. إلا أن المتأمل في قصة الملكين سيجدها تشير على الحقيقة إلى النهي عن السحر حتى ولو كانت الملائكة مصدره، وما بالك إن كان الملكان كما تقول الروايات التفسيرية معاقبان على ذنب اقترفاه؟!

ومغزى الآيات التي ذكرتهما في القرآن يشير أيضاً إلى ارتباط تعلم السحر بالفتنة والكفر، فالإنسان مخيَّر عندها بين تحصيله لقدرات فائقة عن طرق كفرية، وبين التمسك بالإيمان والفتنة إنما في هذا الاختيار "**إنما نحن فتنة فلا تكفر**" وكثير من الخلق رسب أمام هذا الإغراء فكفر حتى كانت له تلك الخوارق التي سمي بها ولياً.

السحر ليس كلمة تنطق، والساحر لا يكون ساحراً إلا إن سلك المنهج المؤدي لجعله من أولياء إبليس الذي لن يطيعه إلا لهذا الشرط،

---

[1] - ص١٧٣ تاريخ التصوف الإسلامي

وهل المتعامل مع الشياطين والمتجه إلى الكواكب سيفيد الإيمان إن خرج من دائرته؟! فللسحر دائرة ونطاق مختلف كل الاختلاف عن الدين، ومن المحال اجتماعهما برجل واحد، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

وختاماً نقول: لقد كان إبليس زينة الملائكة وبعصيانه لله أصبح ملعوناً إلى الأبد، وهاروت وماروت يعاقبان على معصية وهما وإبليس يعلمان الناس السحر، فالمعصية هي مصدر السحر، ويكفي هذا عبرة للمؤمن في الابتعاد عنه وعن تعلمه مهما تعددت الذرائع وتلوَّنت.

## - خاتمة:

وأخيراً ومن كل ما مرَّ معنا نرى أن للساحر سمات رئيسية هي:

١ – تميزُّه بنفس ذات انفعال مرهف.

٢ – اتخاذه للرياضات الصوفية نفسها، ابتداء من الجوع والسهر نهاية بالفناء والخلوة والامتناع عن الأكل من كل ذي روح، مروراً بالسماع والبعد عن الجنس.

٣ – تعامله مع الأرواح أو الكائنات الأخرى بالتعظيم والعبادة.

٤ – سعيه لتحصيل الخوارق الحسية والخوارق المعنوية أو المعرفية واستخدامهما في صراعاته.

٥ – قوله بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود تفسيراً لأحواله في الفناء أو الهيمنة.

٦ – إيمانه بوحدة العقائد.

٧ – حقده على النبوة واعتبارها كسباً لا اصطفاءً، وانكاره للمعجزات وتفسيرها بجنس ما يحصل له من الخوارق.

٨ – اعتماده للرموز والأسرار وإلى ما هنالك.

٩ – تعامله بالحروف والطلاسم والتوجه إلى النجوم.

١٠ – قوله بأن التكاليف رياضات ورموز. ولكن إذا ما كان لنا مقارنة سمات الساحر هذا بسمات الظاهرة الصوفية التي ذكرناها في غير هذا الكتاب فسوف ندرك أنه لا فرق بين الصوفي والساحر حيث وحَّد المنهج بينهما، وأقل ما يقال هنا أن أهل التصوف قد تعاملوا بالسحر وأخذوا بآراء إبليس وعقائده حسب ما ذكروه هم في مدوناتهم، وهكذا كان اللعين المصدر المشترك للسحرة وأولياء التصوف حتى كان اتحاد سماتهما بلا فرق ابتداء من الرياضات انتهاء بالعقائد.

## - المراجع:


١. **القرآن الكريم.**

٢. **الصلة بين التصوف والتشيع:** د. كامل مصطفى الشيبي ط٢.

٣. **الأنوار القدسية:** عبد الوهاب الشعراني، هامش الطبقات الكبرى، المكتبة الشعبية.

٤. **الطبقات الكبرى:** عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر.

٥. **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق:** د. زكي مبارك، دار الجيل.

٦. **الإبريز:** أحمد المبارك، تحقيق محمد عدنان الشماع، ج١ ط١ ١٩٨٤، ج٢ ط١ ١٩٨٦.

٧. **التصوف الثورة الروحية في الإسلام:** د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب، بيروت.

٨. **الرسالة القشيرية:** عبد الكريم القشيري ١٩٥٧.

٩. **الحلاج شهيد التصوف الإسلامي:** طه سرور ط٢.

١٠. **الفيلسوف الغزالي:** د. عبد الأمير الأعسم ط٢ ١٩٨١.

١١. **الرسالة اللدنية:** أبو حامد الغزالي، ج١ القصور العوالي، مكتبة الجندي.

١٢. **المقصد الأسنى:** أبو حامد الغزالي، مطبعة حجازي.

١٣. **المظنون به على غير أهله:** أبو حامد الغزالي، هامش الإنسان الكامل للجيلاني.

١٤. **التحف الجوهرية في العلوم الروحانية:** محمود نصار.

١٥. **الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي:** يوسف زيدان، ١٩٨٨.

١٦. **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل:** عبد الكريم الجيلاني، مطبعة حجازي القاهرة ١٣٦٨ هـ.

١٧. **الفتوحات المكية:** محيي الدين ابن عربي، مكتبة الثقافة.

١٨. **الكبريت الأحمر:** عبد الوهاب الشعراني، هامش اليواقيت والجواهر.

١٩. **الزهد:** الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية ط١ ١٩٨٣.

٢٠. **التصوف في الإسلام:** د. عمر فروخ، دار الكتاب العربي ١٩٨١.

٢١. **الإنسان والسحر:** سعيد اسماعيل، ط٢ ١٩٨٦.

٢٢. **السحر والتنجيم:** يوسف ميخائيل أسعد، دار نهضة مصر.

٢٣. **السحر بين الحقيقة والخيال:** محمد زهير الحريري ط٢ ١٩٨٥.

٢٤. **المعقول واللامعقول:** د. زكي نجيب محمود، دار الشروق ١٩٧٥.

٢٥. **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف:** د. علي زيعور، ط١ ١٩٧٩.

٢٦. **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم:** د. علي زيعور، ط١ ١٩٧٧.

٢٧. **الإنسان وقواه الخفية:** كولن ولسن، ترجمة: سامي خشبة، دار الآداب ط١ ١٩٧٧.

٢٨. **التصوف بين الحق والخلق:** محمد فهرشقفة، ط٢ ١٩٧٧.

٢٩. **الدر المنضوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم:** الشيخ محمد الكشناوي الغلاني.

٣٠. **التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس:** عبد القادر أحمد عطا، ط١ ١٩٨٧.

٣١. **الجن والشياطين:** رياض العبد الله ١٩٨٥.

٣٢. **المسكونون بالشياطين:** رياض العبد الله ط١ ١٩٨٣.

٣٣. **الصوفية في نظر الإسلام:** سميح عاطف الزين، ط٢.

٣٤. **السحر وتحضير الأرواح:** د. السيد الجميلي، دار أسامة.

٣٥. **اليواقيت والجواهر:** عبد الوهاب الشعراني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١ ١٩٥٩.

٣٦. **الإنسان روح لا جسد:** د. رؤوف عبيد ط٣ ١٩٧١.

٣٧. **الحاسة السادسة والطاقة النفسية:** د. مضر حامد أبو زيد، ط١ ١٩٨٤.

٣٨. **الروحية عند محيي الدين ابن عربي:** د. علي عبد الجليل راضي.

٣٩. **ابن سبعين وفلسفته الصوفية:** د. أبو الوفا التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، ط١ ١٩٧٣.

٤٠. **ابن عربي حياته ومذهبه:** أثين بلاثيوس، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، ١٩٧٩.

٤١. **إيقاظ الهمم:** أحمد بن عجيبة ط١ ١٩٨٦.

٤٢. **إحياء علوم الدين:** أبو حامد الغزالي.

٤٣. **مقدمة ابن خلدون:** ابن خلدون، دار القلم، ط٥ ١٩٨٤.

٤٤. **مدارج السالكين:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ ١٩٧٢.

٤٥. **من التراث الصوفي:** د. محمد كمال جعفر، ط١ ١٩٧٤.

٤٦. **فلسفة التأويل:** د. نصر حامد أبو زيد، ط١ ١٩٨٣.

٤٧. **في الإلهام والاختبار الصوفي:** د. رؤوف عبيد، دار الجيل للطباعة، ١٩٨٦.

٤٨. **فلسفة التصوف قدرات وطاقات:** د. هاني نصري، ١٩٩٠.

٤٩. **في التصوف الإسلامي وتاريخه:** د. أبو العلا عفيفي، مترجم، تأليف: رينولد. أ. نيكولسن.

٥٠. **تلبيس إبليس:** عبد الرحمن ابن الجوزية، ط٢ ١٣٦٨.

٥١. **تاريخ التصوف الإسلامي:** تأليف: د. عبد الرحمن بدوي، ط١ ١٩٨٥.

٥٢. **تسخير الشياطين في وصال العاشقين:** عبد الفتاح السيد الطوخي.

٥٣. **رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:** أحمد بن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى.

٥٤. **حواسك الزائدة في خدمتك:** هارولد شيرمان، مكتبة النهضة العربية، ترجمة علي عبد الجليل راضي، ١٩٧٠.

٥٥. **حياة محمد الروحية:** د. علي عبد الجليل راضي، مكتبة النهضة المصرية.

٥٦. **حقائق عن التصوف:** عبد القادر عطا، ط٢ ١٩٧٠.

٥٧. **دراسات في التصوف الإسلامي:** د. محمد جلال شرف، دار النهضة العربية ١٩٨٤.

٥٨. **شمس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى:**

٥٩. **شموس الأنوار وكنوز الأسرار:** ابن الحاج التلمساني المغربي، ط١.

٦٠. **سر العالمين:** أبو حامد الغزالي، دار الشباب.

٦١. **قلادة الجواهر:** محمد أبو الهدى الصيادي.

٦٢. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:** أحمد بن تيمية، ط١ ١٣٧٣ هـ.

٦٣. **بد العارف:** عبد الحق ابن سبعين، تحقيق: د. جورج كتورة، ط١ ١٩٧٨.

٦٤. **طبقات الصوفية:** عبد الرحمن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبه، ط٣ ١٩٨٦.

## - الفهرس: